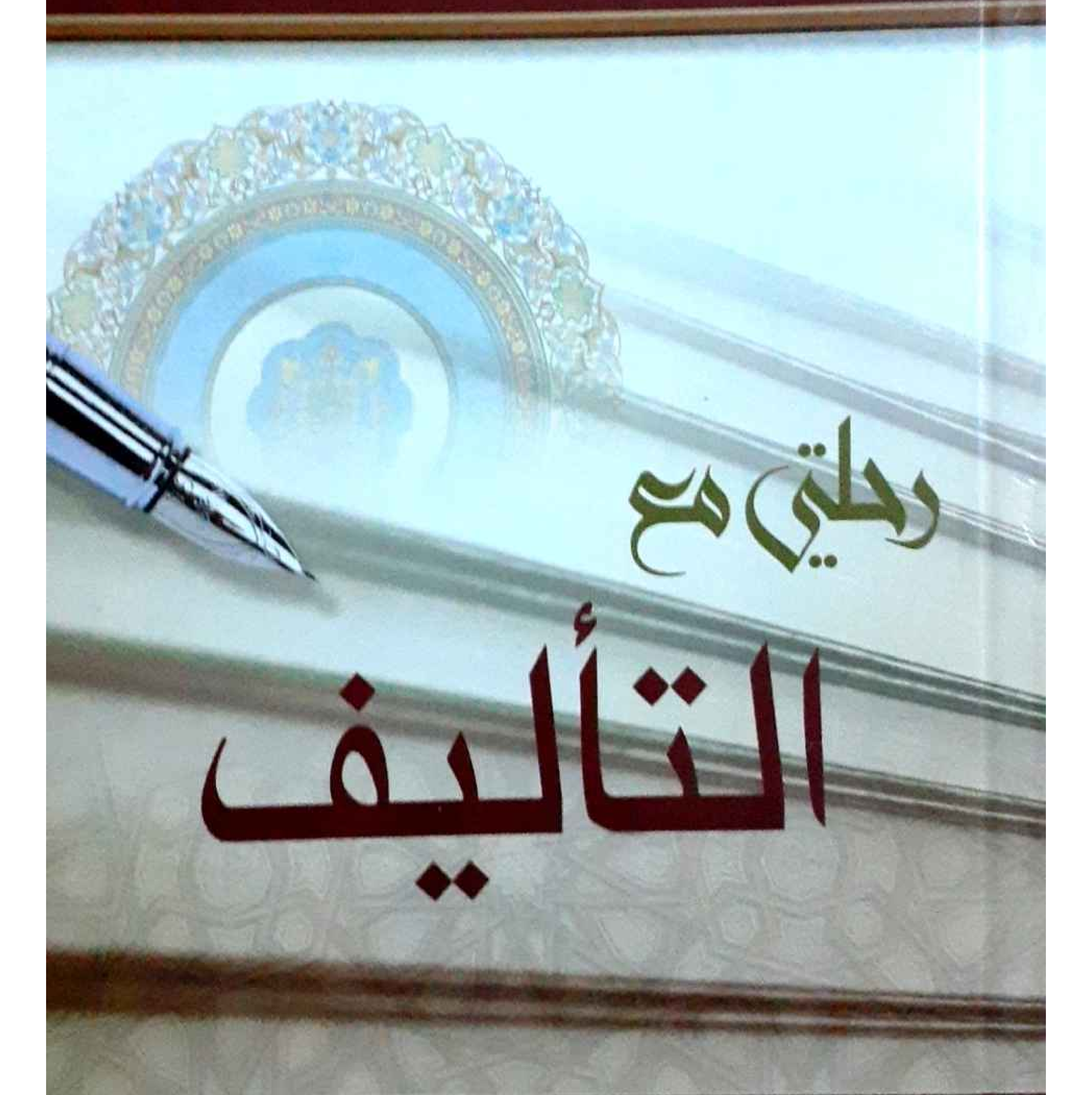
ومضات برقت
عبر سنين مضت

3 - 8

د. محمد بن موسى الشريف



رحلتي مع التأليف

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

رحلتي في التأليف

الطبعة الأولى

1438هـ - 2017م

رقم الإيداع:	٢٥٤٥٧ / ٢٠١٦
الترقيم الدولى:	978-977-6581-18-0

مركز إبصار للنشر والتوزيع

القاهرة- العجوزة- شارع المنتصر

محمول: 00201062532813

E.mail: ebsar2015@Gmail.com

• ومضات برقت عبر سنين مضت



بقلم
محمد بن موسى الشريف

الطبعة الأولى (١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذه رحلتي في تأليف الكتب، طلب مني تسطيرها الأخ الفاضل ناجي الحارثي، وقد شجعني بطلبه هذا على كتابة شيء لم يكن يدور في خَلَدي كتابته، والإقدام على أمر لم أكن أظن أني سأقدم عليه يومًا من الدهر؛ وذلك لأن الكتابة عن النفس أمر ثقيل، وعبء غليظ، وأخشى كل الخشية أن يتحول الأمر إلى ثناء على الكتب وإشادة بها وحضٍ عليها، في سياق التعريف بها وإخبار الناس عن مضمونها، وهذا ليس منّ طبعي، ولا أحبه لنفسي، والله المستعان، لكن نازعني أمران:

الأول: التعريف بالكتب وذكْر ما فيها من جدة حتى يستفيد القراء مما فيها ويكتب لي من الأجر - ما شاءَ الله تعالى- بسببَ الاستفادة منها.

والأمر الآخر هو الخوف من محذور المباهاة بالكتب والثناء عليها والإشادة بها.

لكني رجحت الأمر الأول، وحاولت - قدر استطاعتي- ألا أذكر شيئًا يشعر بذلك المحذور ويوقعني في الأمر المحظور.

وهذا هو الجزء الخامس من سلسلة الذكريات، وأما الجزء الأول فكان بعنوان «رحلاتي».

والجزء الثاني بعنوان «مذكرات طيار».

والجزء الثالث بعنوان «رحلتي مع القراءة».

والجزء الرابع بعنوان «رحلتي في طلب العلم».

وهذا هو الجزء الخامس.

وأرجو من الله - تعالى - التوفيق، وأن يقبل مني ما كتبته، ويثيبني على ما سطرته، وإلا يصنْع سبحانه فقد ضيعت أيامي، وخسرت رأسمالي وأرباحي، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه.

وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه حامداً مصلياً

العبد المذنب الضعيف

محمد بن موسى الشريف

mmmalshareef@hotmail.com

www.altareekh.com

http://www.youtube.com/maltareekh

TWITTER.com/DRMOHAMMEDMH

www.facebook.com/mhmaltareekh

E.mail:ebsar2015@Gmail.com

●●●

• المبحث الأول:

قصة أول كتاب

رحلتي في تأليف الكتب رحلة طويلة، عمرها الآن أكثر من ٢٧ سنة، وفي هذه السنين الطويلة ألفت أكثر من مائة كتاب ورسالة بفضل الله تعالى، وتحدثًا بنعمته عليّ.

ولبداية التأليف سبب أذكره كأنه وليد الساعة، فقد جمعني مجلس بالأستاذ الفاضل المربي النبيل نبيل حفظي -رحمه الله تعالى، وغفر له، ورفع درجته في عليين[1] - في حدود سنة ١٤٠٩هـ١٩٨٩/م، وهذا الأستاذ كان مدير ثانوية الثغر يوم تخرجت فيها سنة ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م ولذلك أُكن له الاحترام والتوقير، فقال لي: يا محمد: ألم يأن لك أن تكتب شيئًا فغيرك يؤلف وأنت لا تؤلف، فعددت هذا التوجيه من الأستاذ نعمةً من الله - تعالى- عليّ، ودفعًا لي إلى عمل لم يكن يخطر ببالي، فقد افتتحت بعده التصنيف بكتاب هو أحب الكتب إليّ وأقربها إلى قلبي لأنه باكورتها، وأبو بَجْدَتها وهو كتاب «استجابات إسلامية لصرخات أندلسية»، والحقّ أقول: إنه لم يَدُر بخَلَدي أن أكتب شيئًا قبل حديث الأستاذ نبيل معي، وتوجيهه لي، فله الفَضل بعد الله - تعالى- في هذا الباب، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) توفي هذا الأستاذ كهلاً لم يبلغ الخمسين، وسبب وفاته حادث سيارة أليم، لم يكن بسببه فقد كان حذرًا مكيثًا في سوقه سيارته، لكن إن جاء القدر لم يُفد الحذر، وإنا لله وإنا إليه راجعون.
وقد كان أول مدير لمدرسة الثغر النموذجية بجدةَ ملتزمًا بدينه مطلقًا لحيته، وكان ذا هيبة مختلطة بوسامة ورثها من أصوله القوقازية -رحمه الله تعالى- وكان كما ورد الوصف: «من رآه بديهة هابه، ومن خالطه أحبه»، وهو مدني المولد والنشأة، جُدّيّ الوفاة، وكان ذلك سنة ١٤١٥هـ١٩٩٥/م.

ذكرت آنفًا أن أول كتاب صنفته هو كتاب «استجابات إسلامية لصرخات أندلسية»، وموضوع الكتاب يدور حول الإجابة عن سؤال مهم ألا وهو: هل هرع أحد من الحكام لإنقاذ مسلمي الأندلس قبل السقوط وأثناءه وبعده؟ فقد كان هذا السؤال يدور في ذهني كثيرًا؛ وذلك أن سقوط الأندلس في براثن الصليبيين كان قد وقع زمن وجود دول إسلامية قوية، فقد كانت الدولة العثمانية قريبة من أوج قوتها وعظمتها، بل إن مسلمي الأندلس كانوا قد استنجدوا بعد سقوطها بسلطان الدولة العثمانية العظيم سليمان القانوني، وهو أقوى سلاطينها، وفي عهده بلغت الدولة العثمانية أعظم درجات القوة والمجد.

وكانت دولة المماليك في مصر والشام في عز وسلطان وقوة.

وكانت هناك دول أخرى في المشرق والمغرب، فأين تلك الدول من مسلمي الأندلس؟

كان هذا سؤالاً مهمًا عمدتُ إلى الإجابة عنه من خلال تأليف ذلك الكتاب: «استجابات إسلامية لصرخات أندلسية» وقد أثبت فيه أن السلاطين والملوك بذلوا جهدًا لا بأس به لنصرة إخوانهم لكنه لم يكن كافيًا ولا وافيًا، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وربما كان ذلك بسبب بُعد الأندلس، أو بسبب موازنات المصالح والمفاسد، وبسبب الدول الصليبية المتعددة المحيطة بالأندلس، والله أعلم.

هذا وإني لم أر في تاريخنا الإسلامي القديم والوسيط والمعاصر موضوعًا أجلبَ للأحزان، ولا حدثًا أصعب على بني الإنسان من الأحداث الأندلسية، والمآسي الغرناطية والقرطبية، والكوارث البَلَنسية والإشبيلية، فعند ذكرها تُسكب العبرات، وفي تتبعها مشقة تعادل فراق الأرواح للأجساد، فمن ذا الذي يسهل عليه نعيُ المسلمين؟

وياليت شعري من ذا الذي يستطيع إيراد أحداث تلك السنين؟

ومن يطاوعه قلبه أن يقرأ قصيدة أبي البقاء الرُندي[1] في سقوط الأندلس؟ أو يجولَ في أخبار إزهاق جليل تلك الأنفُس؟

فيالله كم من الدموع سالت مني، وكم من مشاعرَ أسًى خالطتني، وكم من مواقف أشجتني، ثم إنه لا يخفف عني بعض ذلك، ولا يقلل ما تملكني هنالك إلا تذكري أن الله ليس بظلام للعبيد، وأنه أمهل مسلمي الجزيرة طويلاً، وحلم عليهم حلمًا جليلاً، فلم يؤاخذهم من أول مرة، ولم يسلط عليه عدوهم لأول سقطة، إنما مَرّت سنون تتلوها سنون والقوم غافلون، وعن التذكر معرضون، ولواعظهم كارهون، ولقدومه عليهم مستثقلون، ولنزعته الإصلاحية مستجهلون، واقرأ إن شئت ما جرى لفقيه تلك الديار، وواعظ هاتيك الأقطار: أبي الوليد الباجي[2]

فقد وُصف حاله مع حكام عصره، ورؤساء مِصره، وأنه لم يُفدهم وعظه، ولم ينفع معهم تذكيره، فيالَله للمسلمين:

---

(١) صالح بن يزيد بن صالح أبو الطيب وأبو البقاء النفزي الرندي، شاعر أندلسي. ولد سنة ٦٠١هـ. من القضاة وله علم بالحساب والفرائض. من قبيلة نفزة البربرية، ومن أهل رندة. قال ابن عبد الملك: كان خاتمة الأدباء بالأندلس. وقال ابن الخطيب: له تآليف أدبية وقصائد شتى زهدية، و«مقامات» في أغراض شتى وكلامه نظمًا ونثرًا مدون. توفي -رحمه الله تعالى- سنة ٦٨٤ هـ. انظر «الأعلام» ٣/ ١٩٨.

(٢) الإمام العلامة الحافظ، ذو الفنون، القاضي، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد التُجيبي الأندلسي القرطبي الباجي، صاحب التصانيف، وباجة بلدة قريب إشبيلية نُسب إليها. ولد سنة ٤٠٣ هـ، وارتحل وحج ورجع إلى الأندلس بعد ١٣ عامًا بعلم غزير حصله مع الفقر والقناعة باليسير. وتفقه به أئمة واشتهر اسمه، وصنف التصانيف النفيسة. توفي بالمرية - من الأندلس- سنة ٤٧٤ هـ، رحمه الله تعالى. انظر «سير أعلام النبلاء»: ١٨/ ٥٣٥-٥٤٥.

﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٨] وكل ذلك بما قدمته أيديهم، واقترفته جوارحهم، واجترأ عليه أولهم وآخرهم، وبما فسد من ظاهرهم وباطنهم، ولا يظلم ربك أحداً.

ولأترك الأديب الأندلسي الكبير ابن بسام[1] يتحدث في هذا الذي جرى بأسلوبه الجميل؛ حيث ذكر أن أبا الوليد الباجي ارتحل إلى المشرق مدة ثم حَنَّ إلى وطنه فورد والأندلس «ملوكها أضداد، وأهواء أهلها ضغائن وأحقاد، وعزائمهم في الأرض فساد وإفساد، فأسف على ما ضيعه، وندم لو أجدى عليه ذلك أو نفعه، على أنه لأول قدومه رفع صوته بالاحتساب، ومشى بين ملوك أهل الجزيرة بصلة ما انبتّ[2] من تلك الأسباب، فقام مقام مؤمن آل فرعون لو صادف أسماعًا واعية، بل نفخ في عظام ناخرة، وعكف على أطلال داثرة، بَيْدَ أنه كلما وفد على ملك منهم في ظاهر أمره لقيه بالترحيب، وأجزل حظه بالتأنس والتقريب، وهو في الباطن يستجهل نزعته، ويستثقل طلعته، وما كان أفطن الفقيه رحمه الله بأمورهم، وأعلمه بتدبيرهم، لكنه كان يرجو حالاً تثوب[3] ومذنبًا يتوب»[4].

---

(١) علي بن بسام الشنتريني الأندلسي، أبو الحسن: أديب، من الكتّاب الوزراء. نسبته إلى شنترين في البرتغال اليوم. اشتهر بكتابه «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة». توفي سنة ٥٤٢ هـ، رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في «الأعلام»: ٤/ ٢٦٦.

(٢) أي ما انقطع.

(٣) أي ترجع.

(٤) «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة»: القسم الثاني / ٩٥.

وقال المَقّري[1] رحمه الله تعالى:

«ولما قدم من المشرق إلى الأندلس بعد ثلاثة عشر عامًا وجد ملوك الطوائف أحزابًا مفترقة فمشى بينهم في الصلح، وهم يجلونه في الظاهر، ويستثقلونه في الباطن، ويستبردون نزعته، ولم يفد شيئًا، فالله تعالى يجازيه عن نيته»[2].

ثم إنه مما يزيد من وقع أحداث الأندلس على المُهَج والأنفس ما نراه من أحداث مشابهة لتلك الأحداث، ووقائع يشيب لهولها الصغار والأحداث، في عصرنا الحاضر، قد اتصلت وقائعها بأحداث ذلك الزمن الغابر، في فلسطين ومصر والعراق، وسوريا وليبيا واليمن، وكشمير وأركان والشيشان، والفلبين وغيرها من الأقطار والبلدان، فما أشبه الليلةَ بالبارحة، والتاريخ يعيد نفسَه، ويصل بغده أمْسَه، لكن الفرج قريب، والصحوة التي عمت العالم الإسلامي توشك أن تؤتي أكلها، وتجود بثمارها، وما تلك الدماء التي سالت إلا مقدمة التمكين، وما ذلك البلاء إلا قدر العالمين، ولتعلمن نبأه بعد حين:

---

(١) أحمد بن محمد بن أحمد المَقّري، أبو العباس التلمساني، المؤرخ الأديب الحافظ، ولد في تلمسان سنة ٩٨٦ ونشأ بها، ثم انتقل إلى فاس فكان خطيبها وقاضيها، ثم انتقل إلى القاهرة سنة ١٠٢٧، ودخل الشام والحجاز، والمَقّري نسبة إلى مَقَّرة: قرية من قرى تلمسان. له عدة مصنفات جليلة. توفي -رحمة الله عليه- سنة ١٠٤١. انظر «الأعلام»: ١/ ٢٣٧.

(٢) «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر حال وزيرها لسان الدين ابن الخطيب»: ٢/ ٧٧.

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ [القصص: ٥، ٦].

والبشائر بالنصر قريبة، وهذه الأمة عزيزة، والأخبار بانتصارها وتمكينها في الأرض كثيرة:

﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٤-٦].

عَوْدٌ على بَدْء:

ولما كلمني الأستاذ النبيل نبيل، وحَبّب إليَّ التأليف ورغبني فيه، سارعت لأؤلف في هذا الموضوع الذي حيرني كثيراً، ودار في ذهني طويلاً: موضوع سقوط الأندلس وندرة النصير، وكنت آنذاك مساعد قبطان على طائرات الجامبو ٧٤٧، فذهبت في رحلة إلى بروكسل عاصمة بلجيكا وكانت قرابة خمسة أيام، فحملت معي بعض الكتب التاريخية التي رأيت أنها توفي بالغرض، وفي ثناياها إجابة عن ذلك السؤال المهم وهو: مَن من المسلمين هَبَّ لإنقاذ إخوانه وأخواته؟ فعكفت على تأليف رسالة قدّرتُ آنذاك أنها أوفت بالغرض، وجمعت من الأخبار ما يجيب عن ذلك السؤال، فظهرت تلك الرسالة القريبة إلى قلبي، المحببة إلى نفسي لأنها باكورة كتبي: «استجابات إسلامية لصرخات أندلسية» فاللهم لك الحمد والمنة.

وما أصعب التصنيف آنذاك؛ إذ لم يكن هنالك شبكة معلومات «إنترنت» يُرجع إليها، فلا بد من البحث والتنقير في الموضوع الذي يريد المرء التصنيف فيه

في بطون الكتب والمجلات الثقافية والأكاديمية العلمية، وهذا موضوع أحسبه لم يؤلف فيه من قَبْل، ولم يُطرق في كتاب بالعربية آنذاك - فيما أعلم والله أعلم - فقد كان عملاً شاقًا إذن، وزاد الطين بِلّةً موضوع الكتاب الصعب على النفوس كما أسلفت، والله المستعان.

وبعد هذا الكتاب انفتح لي الباب، وسهل عليّ التصنيف، فأقبلت على التأليف، مستعينًا بالله متوكلاً عليه، راغبًا في أجره وثوابه سبحانه.

هذا وقد طبع الكتاب سنة ١٤١٣/ ١٩٩٢.

●●●

• المبحث الثاني:

المعالم التي ألتزم بها في التأليف

كنت قد ألزمت نفسي منذ بواكير الكتابة الأولى بمعالمَ وشروطٍ أرى - والله تعالى أعلم- أني أوفيت بها، وهي الآتي:

المعلم الأول: الكتابة في أمر مفيد عملي:

قد ألزمت نفسي ألا أكتب إلا في أمر مفيد لكثير من الناس، وأن يكون عمليًا لا نظريًا، بمعنى أنه يمكن جعله واقعًا في الأرض، بعيدًا عن المثاليات البعيدة عن ملامسة حاجات الناس وواقعهم؛ إذ كم من كتابات رأيتها يمكن وصف أسلوبها وأفكارها بأنها رائعة لكن كثيراً مما تدعو إليه تلك الكتابات لا يمكن الوصول إليه، وإنما هو أمر ممكن في ذهن الكاتب فقط؛ ولذلك حرصت على أن أكتب ما أريد إيصاله إلى الناس مصحوبًا -غالبًا- بخطوات لتنفيذ ما أدعو إليه وأصبو لتحقيقه، وأرى - والله تعالى أعلم - أن هذه هي الطريقة المناسبة في التأليف حتى لا يقع القارئ عقب القراءة في حيرة وتخبط وتردد ناشئ عن عدم معرفته كيف ينفذ ما يدعو إليه الكاتب، وإليكم مثالاً على هذه الخطوات:

في كتاب «الثبات» ذكرت عوامل لبقاء الثبات منها:

١ - الدعاء.

٢- تدبر القرآن.

٣- حسن الصلة بالله.

٤- التثبيت من قِبَل الصالحين.

٥- صحبة الصالحين.

٦- التربية الصحيحة: الإيمانية والثقافية والعلمية (الدعوة إلى الله تعالى).

٧- الاطلاع على سير الثابتين.

٨- قراءة التاريخ والسير.

٩- الثقة بنصر الله تعالى.

١٠- التزام شريعة الإسلام وآدابه.

وعلى هذا المنوال نسجت في كل كتبي التي تعالج أمراضًا سلوكية موجودة في المسلمين عامة وفي دعاتهم ومشايخهم ومقدميهم خاصة.

المعلم الثاني: الكتابة في موضوع جديد لم يطرق من قبل:

قد شرطت على نفسي ألا أكتب إلا في شيء جديد لم يُطرق من قبل - فيما أعلم، وفيما وصل إليه بحثي، والله تعالى أعلم - وهكذا جرى الأمر في أول مصنف وهو «استجابات إسلامية لصرخات أندلسية» إلى آخر مصنف كتبته، ومثال على ذلك:

كتاب «الهمة طريق إلى القمة» فقد عالج أمرًا لم يُفرد له كتاب من قبل وهو «الهمة»، وقد ظهرت كتب عديدة بعد كتابي في هذا الموضوع.

وكذلك كتاب «عجز الثقات».

وقد كتب الله - تعالى - شيئًا من القبول لهذا الكتاب، ولا أعلم أنه نوقش في رسالة مفردة إلى يوم الناس هذا إلا في كتابي، وهذا من باب التحدث بنعمة الله تعالى عليّ.

وكتاب «الترف وآثاره على الدعاة والصالحين».

وكتاب «أثر المرء في دنياه».

وكتاب «الثبات».

وكتاب «الطرق الجامعة للقراءة النافعة».

وكتاب «التوريث الدعوي».

وكتاب «الجانب الفكري عند المشتغلين بالعلوم الشرعية».

وكتاب «ظاهرة التهاون في المواعيد».

وكتاب «أهل الإسلام والتفلت من ظاهر الالتزام».

وكتاب «العبادات القلبية».

وكتاب «التدريب».

وكتاب «مقياس العمل المؤثر».

وكتاب «التقارب والتعايش مع غير المسلمين».

وكتاب «حياء المرأة: عصمة وأنوثة وزينة».

وكتاب «المرأة الداعية»، وغيرها من الكتب الكثيرة التي جاءت - بحمد الله تعالى - جديدة في إفراد موضوعاتها في مبحث مستقل وكتاب منفصل، وبعضها جديد مطلقًا - فيما أعلم، والله أعلم - كـ «التوريث»، و«نحوُ الدعاة»، و«التدريب» و«المرأة الداعية»، و«أثر المرء في دنياه» و«عجز الثقات» و«مقياس العمل المؤثر»، و«التراجم وأثرها في السلوك الإنساني»، و«التنازع والتوازن».

ولا ريب أن البدء بعمل جديد لم يُسبق إليه الباحث -في الجملة - أمر صعب، يعرف عناءه من عاناه، ويدرك صعوبته من خاض فيه، فافتراع الأفكار، وابتكار العناوين والعناصر، وإيراد الآثار والأخبار، كل ذلك يعسر على الباحث في أمر جديد، أو هو أمر قديم لكن إنزاله على واقع الدعاة والصالحين أمرٌ لم يُعهد من قبل ولم يؤلف فيه، والله أعلم، خاصة أن معظم ما كتبته كان قبل انتشار شبكة المعلومات: «الإنترنت» فكان لا بد من جمع كل ما يتصل بالموضوع جمعًا دقيقًا من بطون الكتب والمجلات وكل المظانّ الأخرى.

المعلم الثالث: الإيجاز:

الإيجاز هو الاختصار بلا إخلال، وقد شرطت على نفسي في كل تآليفي أن أسلك فيها مسلك الإيجاز غير مطول ولا مُطنب، وذلك لثلاثة أسباب:

السبب الأول:

الكتاب الموجز سريع الغزو للعقول والقلوب، فعباراته قليلة، ومعانيه محدودة، وهو بذلك حقيق أن يبقى طويلاً في ذاكرة قارئه وقلبه، بينما الكتاب الكبير الضخم ربما لا يبقى منه إلا شيء قليل في القلوب والعقول.

السبب الثاني:

أهل العصر لم يعودوا يستطيعون قراءة المطولات، وأعرضوا عنها كثيراً، حتى أن الكتاب الكبير لا يجد مَن يقرؤه إلا لمامًا، وذهب الصبر على قراءة المطولات أدراج الرياح، وصار أثرًا بعد عين عند أهل هذا الزمان إلا قليلاً أو نادرًا، وقد كلمني بعض إخواني في مَدٍّ بعض ما أكتبه قليلاً؛ لمزيد من

الاستمتاع بالقراءة والاستفادة منها - عند من رغب في مصنفاتي - فبينت لهم ما أراه أصوبَ في هذه المسألة وأجدرَ بالاتباع، والله أعلم.

ولذلك فقد عمدت إلى اختصار عدد من الأسفار المطولات، وتهذيب بعض الكتب المبسوطات، وسآتي على ذكر ذلك في مكانه، إن شاء الله تعالى.

السبب الثالث:

إن الكتاب الموجز ذا الحجم الصغير يَسْهُل حمله والتنقل به من مكان لآخر، ويمكن إهداؤه أو التبرع بثمنه لمن هو عاجز.

هذه الأسباب مجتمعة هي التي دعتني للإيجاز في التأليف، وعدم البسط فيه، وإلا لو أردت البسط والتوسع لأتت كل رسالة في مجلد وربما أكثر، لكني أعلم أن هذا المجلد سيبقى حبيس المكتبات ولن يقرأه إلا قليل، فآثرت ما صنعت، والله المستعان.

المعلم الرابع: الفائدة المصحوبة بالتشويق:

كم من كتاب مشوّق لكنه قليل الفائدة، وكم من كتاب عظيم الفائدة لكنه قليل التشويق كثير الإملال؛ فلذلك عمدت في كتبي إلى الجمع بين الفائدة والتشويق على وجه لا يطغى فيه أحدهما على الآخر، فيما أحسب، والله أعلم.

والتشويق إنما يكون بأمرين اثنين:

إيراد أخبار السلف والخلف وحكاياتهم الجليلة، وكلامهم الرائق.

الأمر الآخر: الخطوات العملية التي تصاحب ما يكون في الكتاب من أمور نظرية، ومزجها بتجارب أهل زماننا هذا وأخبارهم.

وهذا الذي أرجو أن أكون قد صنعته في جُل ما كتبته.

المعلم الخامس: إيراد أخبار السلف وخيار الخلف:

قد جريت في الكتب على إيراد كثير من أخبار سلف الأمة وخلفها، وأرى -والله أعلم- أنه ليس هناك أنفعُ للعبد بعد كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ من تتبع أخبار الصالحين، والسير في طريقهم، والنسج على منوالهم، والاغتراف من أحوالهم، والطمأنينة إلى سمتهم وهديهم، فقد وجدت ذلك نافعًا غاية النفع، بالغًا الغاية القصوى في التأثير على مَن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وليس موضوعي هاهنا أن أبسط أثر تراجم الأشخاص على السلوك الإنساني، وإنما لهذا موضع آخر[1].

لكني وجدت من نفسي انشراحًا كبيرًا لتضمين أخبار أولئك الصالحين -خاصة الصدر الأول والقرون الثلاثة المفضلة- في ثنايا كتبي، ووجدت من الناس رضًا وقبولاً، فعسى أن يكتب الله - تعالى- لي القبول، ويبلغني مما أريده المأمول.

المعلم السادس: الكتابة الناشئة عن خبرة ومعاناة:

إن الكاتب الذي يكتب عن خبرة وعلم ومعاناة تنشأ كتابته على قواعدَ قويمة تفيد في علاج الأمر الذي يُكتب فيه، وتنجح في الولوج إلى أعماق قارئه وهزه بقوة قد

(١) قد بينت هذا بالتفصيل في كتابي «التراجم وأثرها على السلوك الإنساني» لمن أراد أن يرجع إليه.

تغير مجرى حياته، وأزعم - والله أعلم- أني قد كتبت أكثر كتبي مراعيًا هذا الأمر، عالمًا بما أريد أن أكتبه، قد جربته طويلاً، وخبرته كثيرًا، فعلى سبيل المثال قد كتبت كتاب «**الهمة طريق إلى القمة**» لأني رأيت همم أكثر أهل العصر متدنية، وأن أغلب القوم قد قعدت بهم هممهم عن الوصول إلى المعالي، وإدراكي ذلك لم يكن ناشئًا إلا عن التصاق بالناس ومعرفة ما هم عليه، ومكابدة ضعف هممهم.

وقد فرغت من الكتاب سنة ١٤١٣/ ١٩٩٣.

- وكتاب «**الثبات**» كتبته بعد أن رأيت صورًا من الضعف، وسمعت عن أحوال عجيبة من التفلت والتقلب، والعجز عن التزام الصراط السَوِيّ والبعد عن المذهب الغَوِيّ.

وقد فرغت منه سنة ١٤١٧/ ١٩٩٧.

- وكتاب «**الطرق الجامعة للقراءة النافعة**» ألفته لأعالج به ما أراه من ضعف مبين في الإقبال على القراءة، إلى الحد الذي نادى فيه المصلحون مرارًا للتنبيه على هذه المشكلة العويصة التي أصابت أفراد المجتمع وطبقاته بحيث لا تكاد تترك أحدًا، وقد سمعت شكاوى كثيرة من الشباب والصغار والكبار في أماكن عديدة، وأوقات مختلفة، مما جعلني أكتب ما كتبته.

وقد فرغت منه سنة ١٤١٤/ ١٩٩٣.

- وكتاب «**الترف وأثره على الدعاة والصالحين**» أَلَّفته بعد أن رأيت أنواعًا من الترف، وألوانًا من الإيغال في طلب الحياة الدنيا لا تليق بمن وضع لنفسه أو وُضع له الأهداف السامية.

وقد فرغت من الكتاب سنة ١٤٢٤/ ٢٠٠٣.

- وكتاب «أثر المرء في دنياه» ألفته بعد أن رأيت أن أكثر الدعاة والصالحين لم يتنبه إلى هذه المسألة المهمة وهي ترك الأثر النافع الذي يدوم أجره إلى ما بعد وفاة المرء والتحاقه بالرفيق الأعلى سبحانه، ومما قلته في المقدمة:

«يعيش معظم الناس على هذه الأرض مُددًا متفاوتة ثم يغادرونها، ولئن سألت عنهم، وعن آثارهم، وأعمالهم، لوجدت أنهم كانوا كسحابة صيف سرعان ما انقشعت ولم تمطر، وأنهم كانوا كظل سرعان ما زال، عاشوا سنوات طويلات ثم ماتوا، عاشوا فلم يشعر بهم أحد، وماتوا فلم يدرِ بهم أحد، ولعمر الحق ما هكذا يعيش العظماء، ولا هكذا يموت الأبطال.

والناظر لتاريخ البشرية من آدم -عليه الصلاة والسلام- إلى يوم الناس هذا يشاهد بوضوح أن العظماء من الرسل والأنبياء وأصحابهم والصديقين والأولياء والعاملين من الصالحين هم الذين قامت عليهم الأعمال العظيمة، وهم الذين تولوا إنجازها، وهم الذين ذهبوا بأجرها، والباقون بين ناظر وناكث، أو مشارك على استحياء ولرفع اللائمة عنه فقط، أو أن همته تعلقت بأعمال مرجوحة في الفضل والأثر، فلا يدري هؤلاء ما فاتهم من الأجر العظيم والمنازل العالية.

وليس ترك الأثر بالأمر الهين السهل بل هو نتاج عمل طويل نافع، وعمر مديد، ونظر مفصّل، يصاحب كل ذلك توفيق من الله تعالى ودلالة وإرشاد، وهناك عقبات على الطريق، وآلام وآمال، وانتكاس وانتعاش، وتوقف ومعاودة، وإخفاق ونجاح، إلى أن يصل المرء إلى بغيته ويحقق هدفه.

وهو أمر جليل يهون أمامه كل صعب، وعظيم يُستصغر معه كل خَطْب.

والأمة الإسلامية اليوم تخطو إلى الكمال والرقي والسيادة، وتطمح إلى العزة والكرامة، وترنو إلى المجد والقيادة لكنها لن تصل إلى ذلك بالأماني، ولا بأنصاف الأعمال، إنما ستصل - بعد توفيق الله تعالى وفضله - ببذل عظيم، وجهد كبير، وتضحيات جليلات، وأعمال كبيرة، ومشروعات رائدة، تنتج آثاراً خالدة في دنيا الناس؛ لذلك لم تكن أهمية ترك الأثر النافع الجليل مقصورة على الشخص نفسه، ولا على زمانه الذي يعيشه إنما تكمن أهميته في العمل الضخم المبذول للوصول إليه، وفي النشاط الكبير الحاصل في المجتمع لتحقيق ذلك الأمل العظيم، ثم في الفوائد الكثيرة التي سيجنيها ذلك المجتمع من تلك الآثار الخوالد.

وكثرة الآثار الخالدة في شعب ما دليل على وعي كثير من أفراده، وأنه شعب قدّم الكثير في سبيل الحصول على ما حصل عليه، وهو شعب معطاء عامل، وقلة الآثار الخالدة في شعب آخر دلالة على خمول أفراده وضعفهم، وتواكلهم، ورضاهم بالقليل، وإخلادهم إلى الأرض، والخلاصة أن الآثار الجليلة هي من أكبر المقاييس التي تقيس همم الشعوب وعطاءها وبذلها وتضحيتها.

ولم تخلف أمة من الأمم ما خلفته أمة الإسلام من آثار في جميع جوانب الحياة، لكننا نعاني من مشكلة كبيرة ألا وهي أن هذه الآثار كانت من صنع الآباء والأجداد، فماذا صنعنا نحن؟ وما الذي سنخلفه من آثار في الحياة؟ وهل سيجني أحفادنا من آثار أعمالنا ما نجنيه نحن اليوم من آثار جليلة لأجدادنا العظام.

إن قضية الأثر العظيم قضية مفصلية في حياة الأمم والشعوب، لا بدّ من تعظيمها في أذهان الناس صغارهم وكبارهم؛ لأن نواتج تلك الآثار هي الضامن - بعد عناية الله تعالى وتوفيقه- لمستقبل زاهر ونهضة باهرة، فمسألة ترك الأثر لا بدّ

من تدريسها للطلاب في المدارس والجامعات، وتذكير الناس بها في وسائل الإعلام، وإعداد المجتمع وتهيئته للعناية بها، وإنزالها المكان اللائق بها في دنيا الناس؛ لأن قناعة الناس بها مقدمة مهمة لبدء أعمال جليلة ومشروعات رائدة.

هذا ما أؤمن به، ودعوت إليه طويلاً؛ ولهذا كتبت هذه الرسالة، وسطرت هذه المقالة، والله الموفق» اهـ.

- وكتاب **«ظاهرة التهاون في المواعيد»**.

كتبته بعد أن اكتويت بنار التأخر عن الموعد مِن أكثر مَن عرفتُ من الفضلاء والمشايخ والعلماء وطلبة العلم والدعاة.

وقد صنفته سنة ١٤٢٣/ ٢٠٠٢.

- وكتاب **«عجز الثقات»**.

ومما قلته في سبب تصنيفه:

«هذه الرسالة هي للمؤمنين الصادقين الذين عرفوا الطريق والتزموه، لكن لأسباب كثيرة ما تمسكوا به ولا لزموه، فهم يراوحون مكانهم ولا يتقدمون، وكأنهم نسوا المعاني العلية فليس لها يعملون.

هم فتية وشباب وكهول صالحون، ما زالوا بدرب الفضيلة والخير يستمسكون، لكنهم قد غلبت عليهم الدعة والكسل، وحب الدنيا وطول الأمل، فأرادوا أن يكونوا صالحين بلا عمل ولا تبعات، ولكن هيهات هيهات، ألم يبلغهم أن «الدنيا حلوة خضرة، والله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون»، أم استغنوا عن عالي الدرجات في الجنات، التي لا يبلغها إلا الأنبياء، ورفقتهم من الصالحين والصديقين والشهداء.

فكانت هذه الرسالة مذكرة للعاجزين من الثقات، الذين ملكوا كل وسائل الفوز بالعالي من النعيم المقيم ثم هم يأبون ذلك ويرضون بالقليل، فعسى أن يتضح لهم عظَمُ ما اقترفوه بتضييعهم، وكثرةُ ما فرطوا فيه من حسنات بتفريطهم، والله المستعان وعليه التكلان».

هذا وقد فرغت منه سنة ١٤١٩/ ١٩٩٨.

وعلى هذا المنوال تقريبًا نسجت سائر كتبي، فمن ذلك:

- كتاب «المرأة الداعية».

ومما قلته في مقدمة الكتاب:

«إن الكتب التي صنفت للدعوة إلى الله تعالى كثيرة جدًا، وهي في أصل وضعها موجهة إلى الرجال والنساء، لكنها تخاطب الرجال أكثر، وتلائم أوضاعهم على وجه أنسب، بينما لا تستطيع المرأة العمل بجزء - يقل أو يكثر - من هذا الخطاب العام، أو أنه لا يناسبها ابتداءً، وقد رأيت - وأسأل الله تعالى التوفيق - أن أضع رسالة خاصة بها تلائم أحوالها، وتستطيع عمل ما فيها -كله أو أكثر- بحسب ما أوتيت من قدرات، وفُطرت عليه من مواهب وملكات، وبحسب أحوال بيئتها ومجتمعها الذي تعيش فيه.

هذا وقد ترسخت فيّ القناعة أن الدعوة بحاجة ماسة إلى المرأة وجهودها الدعوية، وأنه بدون مشاركة فاعلة قوية من قِبَلها فإن الدعوة لن تتقدم التقدم المرجو، ولن تخطو الخطوات المطلوبة القوية، وستظل عرجاء متعثرة؛ لذلك على النساء الداعيات المشاركة بقوة في الساحة الإسلامية؛ لتقويم المسيرة النسائية خاصة والمسيرة الدعوية . . .

وفي هذه الرسالة سأعمل على ذكر بعض المعالم المساعدة للمرأة الداعية لتدعو إلى الله، وسأعمل على اقتراح حلول بعض المشكلات التي تعترضها في مسيرتها، وأناقش جوانب تعمل على تسديد مسيرتها، وأحذر من بعض المزالق التي تنزلق إليها بقدر الوسع والطاقة، وبما أعلم من حال النساء الداعيات على مدار العشرين سنة الأخيرة بل أكثر، ولقد علمت من ذلك الكثير -الذي يمكنني من المناقشة والتسديد- وإنما ذكرت هذا لئلا يعترض عليَّ معترض ويورد عليَّ أنني أجهل حال النساء فكيف أؤلف في أمورهن، ولو أنني وجدت رسالة تناقش ذلك كله على وجه مناسب لما أقدمت على الكتابة جريًا مني على عادتي في عدم الكتابة في موضوع سبقت الكتابة فيه على وجه مُرْضٍ، لكني قدرت أن الموضوع لم ينل حقه من التمحيص، ولم يحظ بالمطلوب من التدقيق والتحرير، فأقدمت على الكتابة، وتأليف هذه الرسالة، والمجال مازال بعدُ مفتوحًا على مصراعيه للكتابة لكن بشرط البعد عن التعميم، وملامسة القضايا ملامسة عملية مباشرة؛ لأن القواعد النظرية كثيرة، والعملية نادرة أو قليلة، ونحن بحاجة إلى الأمور العمليات أكثر من حاجتنا إلى النظريات والعموميات.

وهذه الرسالة موجهة لكل داعية من النساء أو من ترغب في أن تؤدي واجب الدعوة، وتتشرف بحمل رسالة الإسلام إلى الأخريات، يعني أن المرأة الداعية هي المخاطبة بهذه الرسالة، وهي المرجوة من هذه المقالة، وكذلك كل من تتمنى أن تنضم إلى هذا العقد الطاهر، وتسلك في هذا النظم الباهر، والله الموفق» اهـ.

هذا وقد فرغت منه سنة ١٤٢٦/ ٢٠٠٥.

- كتاب «**التنازع والتوازن في حياة المسلم**».

وهو كتاب وُصف بالطرافة والجِدّة في موضوعه، وقد ألفته عقب مدة مهمة في حياتي أصابني فيها تنازع شديد إزاء نوازع نفسية سيطرت عليّ، فقد كنت في صدر شبابي راغبًا في الذهاب إلى الجهاد في أفغانستان -كما هو حال أكثر الشباب الملتزم آنذاك- لكن مشايخي منعوني ورأوا أن البقاء في البلاد والدعوة إلى الله، تعالى، أجدرُ وأعْوَدُ على المجتمع بالخير، ولم أملك إلا طاعتهم على كُرْهٍ في نفسي.

وكنت كذلك راغبًا في جمع المال الصالح لأنفقه في وجوه الخير.

كما كنت منغمسًا آنذاك في طلب العلم الشرعي.

وكنت أتوق لأصل إلى درجة عالية في التعبد والإخلاص.

كما كنت أحب الدعوة إلى الله - تعالى- وأتمنى أن أصل إلى مقام الداعية.

وغير ذلك من النوازع التي أثرت في نفسي كثيرًا، ولما رأيت أن كثيرًا من إخواني يعاني قريبًا مما أعاني، وربما فاقني في هذا أقدمت على تأليف هذا الكتاب الذي أرجو فيه أن أكون قد وُفقت في الجمع بين طلب هذه الأمور والاستجابة لهذه النوازع على وجه من التوازن لا يطغى معه نازع على آخر، ولا يُخل عمل بآخر، ومما كتبته في مقدمة الكتاب شارحًا ومبينًا:

«إن المسلم - اليوم - مطالب بإرجاع أمته إلى سابق مجدها وقديم عزِّها، وسبيله إلى ذلك هو إصلاح نفسه، ثم دعوة غيره.

وإصلاح النفس هدف يرجوه كل مسلم ولكن دونه عقبات عظيمة لاسيما في هذا العصر، وأعظم هذه العقبات هي ما كان من داخل الشخص نفسه؛ إذ

إن هناك عقبات حسيّة ومعنويّة، ولكن أعظم العقبات قاطبة هو ما يصادم الشخص داخل نفسه، فالنفس أمّارة بالسوء، وفيها كِبْر وحسد وحقد وغلّ وبغضاء ورياء وشقاق ونفاق إلى غير ذلك من المهلكاتَ، فمن وفقه الله للنجاة من هذه الآفات وأمثالها فهو في خير عظيم، وقد تكفّلت كتب كثيرة بشرح سبل السلام من هذه المهلكات شرحًا وافيًا كافيًا.

ثم إن المسلم إذا خلّص دواخله من كل هذا فَجَأَتْه مجموعة من المطالبات النفسية الداخلية - وهي ما يمكن أن يسمى «النوازع» - أقلقته وعصفت به، ويمكن في كثير من الأحوال أن يقوده عدم تحقيقها إلى اليأس والإحباط إن لم تدركه رحمة مولاه وفضله.

وأعني بهذه النوازع - وسيأتي للكلمة وضوابطها شرح مفصَّل، إن شاء الله تعالى- هو ما تنزع إليه النفس وترغبه وتشتهيه:

فالمسلم الملتزم بدينه يحب أن يكون داعية إلى الله تعالى.

وكذلك يرغب أن يكون قويّ الإيمان، راسخ اليقين.

وهو يحب أن يكون من العابدين الزاهدين.

وكذلك يستهويه المال الصالح.

وتدفعه نفسه إلى أن يكون من رجال الشهرة المعروفين المتصدرين.

وكذلك يحنّ المسلم إلى أن يكون ممن رزقه الله تعالى العلم الشرعي فأصبح من علماء الأمّة العاملين.

وهو من الراغبين في الثقافة الفكرية والواقعية؛ حتى يكون مرشدًا ومُفتيًا من مُفْتي الشباب والصحوة.

وهو ممَن تَتُوقُ نفسه إلى الجهاد والذَّوْد عن أعراض المسلمين، ويكاد يتمزق شوقًا عندما تلامس أذنَه نداءاتُ الجهاد وأخبار البطولات.

وهو ممن لا يُحب أن يُرى مقصرًا في حقوق الأهل والأرحام والأحباب.

وهو - ولا بد- ممن يرغب أن يرى أولاده وبناته من عباد الله الصالحين الداعين المجاهدين، فيربيهم تربية إسلامية حسنة.

فهذه عشرة نوازع في نفس الإنسان المسلم يرغب كل عاقل لبيب أن يجمعها، ولكن هيهات أن تجتمع له إلا بتوفيق عظيم، قال الإمام ابن الجوزي[١] رحمه الله تعالى:

«ويندر من الخلق من يلهمه الكمال وطلب الأفضل، والجمع بين العلوم والأعمال ومعاملات القلوب، وتتفاوت أرباب هذا الحال»[٢].

ولشرح هذه النوازع والتوفيق بين بعضها البعض والتوازن والترجيح بينها جاء هذا البحث، الذي أحسبه جديداً يضيف شيئًا إلى المكتبة الإسلامية، ويشرح أموراً يجدها كل مسلم ملتزم بهذا الدين - داعية على وجه الخصوص- في نفسه حال سيره في دروب هذه الحياة» اهـ.

هذا وقد فرغت منه سنة ١٤١٤/ ١٩٩٣.

---

(١) الشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزيّ، ينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ولد سنة تسع أو عشر وخمسمائة ببغداد، وسمع من مشايخ كثيرين، وكان رأسًا في التذكير بلا مدافع، وصنف مصنفات كثيرة في بعضها أوهام وأخطاء بسبب عدم التحرير والمراجعة، وله حكم كثيرة وأقوال شهيرة. توفي سنة ٥٩٧ هـ ببغداد. انظر «سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٦٥- ٣٨٤.

(٢) «صيد الخاطر»: ٢٦٢.

- كتاب «**حياء المرأة عصمة وأنوثة وزينة**».

ومما كتبته في مقدمة هذا الكتاب التالي:

«إن كثيرًا من النساء المسلمات قد صار هذا الحياء عندهن مفقودًا أو ضعيفًا إلى حَد مُريع، وأنه قد أثر هذا الفقد أو الضعف على سلوكهن وطرائق عيشهن تأثيرًا بالغ الخطورة، فعمدت إلى كتابة شيء يكون منبهًا لأخواتي وبناتي اللواتي سلكن ذلك الطريق؛ ولأنبه اللواتي مازال عندهن الحياء وافرًا حتى لا يقعن فيما وقع فيه أولئك.

فكانت هذه الرسالة علاجًا ووقاية، ونصيحةً ومحاولةَ هداية، عسى أن تثمر تغييرًا في السلوك وعودة إلى الاستمساك بالحياء، إن شاء الله تعالى.

وقد جعلتها في مقدمة ومباحث، تحدثت فيها عن العلل وسبل العلاج، وضربت لذلك أمثلة، وسقت أخبارًا وقصصًا، وكل ذلك رجاءَ أن تتعظ بها القارئات، وتستمسك بما فيها من خير قوافل التائبات العائدات، وتهتدي بهديها سائر النسوة والفتيات.

هذا وقد كان ينبغي لهذا الكتاب أن يكون مخاطبًا للذكور والإناث؛ وذلك أن هذا الخلق الكريم لا ينبغي أن يُفقد في رجل ولا امرأة، وزينة الرجل والمرأة الحياء، وقد حدثت في المجتمع حوادث سيئة كثيرة بسبب فقدان كثير من الرجال والنساء لهذا الخلق الكريم، وإنما أفردت المرأة بالحديث ها هنا لأني أؤمن أنه يجب التخصيص حال الخطاب وعدم الخلط؛ ولأن خطاب المرأة - عندي- أهم من خطاب الرجال في هذه المدة، على وجه الخصوص؛ لأنها هي القائمة -عادة- على التربية، ولأن السهام موجهة إليها أكثر، والعناية بها أوجب.

وفي هذا الكتاب سبعة مباحث هي:

- معنى الحياء والأقوال المأثورة في شأنه.
- أقوال أهل الشرع والأدب والشعر في الحياء.
- اعتداد الشرع بحياء المرأة وأثر ذلك في الحكم الشرعي.
- أهمية الحياء للمرأة.
- صور على ضعف الحياء لدى بعض النساء أو فقدانه، وهو أهم مباحث الكتاب، وفيه صور عجيبة من أزمنة قديمة وحديثة.
- علاج قضية قلة حياء البنات.
- ضوابط في مسألة حياء المرأة» أهـ.

هذا وقد فرغت من الكتاب سنة ١٤٣٠/ ٢٠٠٩.

- كتاب **«مصطلح حرية المرأة بين كتابات الإسلاميين وتطبيقات الغربيين»**.

ومما قلته في المقدمة:

«لم يتعرض معنى من المعاني - فيما أظن وأُقَدِّر - إلى العَسْف والانتهازية وسوء الاستعمال مثلما تعرض له معنى الحرية عامة، وحرية المرأة خاصة، فقد اتُخذ ذريعة للوصول إلى مفاسد كثيرة، وصار حجة لأعمال وأقوال وأحوال يندى لها جبين الفضيلة، خاصة في هذا العصر الذي تميعت فيه كثير من المصطلحات والمعاني، وفسد كثير من التصورات والمباني، وساعد على كل ذلك وجود قوى عالمية تناصر تلك الحرية المزعومة، وتريد فرضها على العالم بقوة الحديد والنار، والتسفيه والترهيب!! واعجب لحرية تُفرض بالترهيب!!

وساهم في تردي الأمر ما عليه الأمة الإسلامية من تراجع حضاري مادي، وترك لمنهج الله - تعالى - وهو المنهج الوحيد القائم في الأرض الذي يفسر الحرية عامة، وحرية المرأة خاصة تفسيرًا صحيحًا قائمًا على منظومة كاملة من الوعي والفهم للإنسان والحياة، وحسن التصور للعلاقة ما بين هذه الحياة والحياة الآخرة ومتطلبات كل منهما، وهذا الفهم الصحيح والتصور المريح قد فُقد في الأرض ولم يعد يعرفه ولا يملكه إلا المسلمون بإسعاف منهجهم الرباني لهم، ومساعدة ما حُشد لهم من تصورات صحيحة إيمانية في كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم.

والمسلمون في ظل صحوتهم الراشدة - التي ابتدأت قبل خمسين سنة تقريبًا- يحاولون الرجوع إلى هذا المنهج الراشد في كل شئون دينهم ودنياهم؛ ليصلحوا به حالهم، وينعتقوا به من إسار الذل والهوان الذي تخبطوا فيه في القرون الأربعة الأخيرة: قرون الظلم والظلام، وكثر الجدل والنقاش حول مفاهيم كثيرة كان منها مفهوم الحرية، وحرية المرأة خاصة، الذي نال قسطًا وافرًا من الحديث ومن ثم التأليف، الذي تنوعت فيه الاتجاهات، وكثرت فيه الاجتهادات.

وفي هذا الوقت الذي نعيشه اشتدت فورة الحركات النسائية الداعية إلى الحرية، وعقدت لها مؤتمرات متتابعة في بكين ونيويورك والقاهرة وغيرها، وحشدت لها قوى، وجاءت بمفاهيم جديدة عن الحرية غاية في الخطورة، وتجاوزت بذلك كل طروحاتها السابقة على وجه فاحش، ولما كان كل ذلك، واجتمع في الساحة دعاة الشر برز لهم دعاة الخير والصلاح والفضيلة، وناوشوهم، وأسكتوهم مرارًا - على أن الباطل منتفش أحمق لا يكاد يكف عن

باطله- وصارت هناك مواجهات متعددة في المجامع والمحافل، وبرزت كتابات جديدة كانت أحسن تناولاً لما يجري في الساحة وأفضل مواجهة لقوى الشر، وأقوى استدلالاً، وأتى الله -تعالى- على يديها بخير كثير.

وقد رأيت أن أسطر بحثًا أُعَرِّج فيه على تلك الكتابات بإيجاز لأبين ما قد يعتري بعضها من ضعف في تقرير المسائل، أو تنافر في الاجتهاد بسبب إرادة كاتبيها تذليل ما يظنون أنه عقبة أو شبهة في المفاهيم الإسلامية، وكتبت هذا البحث أيضًا لأضع بعض الضوابط والقواعد في قضية تحرير المرأة؛ ولأوضح بعض المآخذ على طروحات من ينادي بقضية التحرير مبينًا المنهج الإسلامي في هذه المسألة، ولا أزعم أن هذا وذاك قد غاب عن كتابات المصلحين أو نظرات المحللين المجتهدين لكن حاولت الجمع والإيجاز، وأتيت بما أظن أنه مهم لأهل الصحوة أن يفهموه على وجه موجز جامع؛ وذلك أن الإيجاز هو سمة العصر، وما عاد أهله يستطيعون -في أكثرهم- قراءة المبسوطات الواسعات، وإنما البحوث الموجزات؛ فلهذا حرصت على الإيجاز وذكر أهم النقاط في قضية حرية المرأة.

ولم أعرج في حديث منفصل مبوب على بيان منهج الإسلام العظيم في تحرير المرأة تحريرًا حقيقيًا لسببين:

أولاً: لأنني أظن أنني قد أتيت على عدد من القواعد الإسلامية في منهج التعامل مع المرأة في ثنايا البحث، وهي كافية بالنظر إلى وجازة البحث، وسعة الموضوع المطروق.

ثانيًا: لأنني أرى أن المنهج الإلهي في هذا الباب أعظم من أن يدلل عليه بإيجاز كهذا، وقد تكفلت كتابات كثيرة ببيانه على وجه مستفيض، وإنما حسبي أن أوضح ما قد يعتري بعض تلك الكتابات من خطأ، وأن أضع بعض القواعد، ثم أعرج على المآخذ الكبيرة التي تؤخذ على الغربيين في فهمهم لمسألة حرية المرأة، وإنما ذكرت حال أهل الغرب دون الشرق - كالصين واليابان - لأن الغربيين هم الذين يحاولون فرض مفهومهم على العالم دون الشرقيين؛ ولأن كثيرًا من شعوب الشرق ليس لهم مفهوم محدد في هذا أصلاً أو أنه لم يصل شره ووباله إلينا» أهـ.

- **كتاب «التدريب وأهميته في العمل الإسلامي»**:

ومما قلته في مقدمة الكتاب موضحًا أهمية التدريب:

«إن العمل الإسلاميّ المعاصر تظهر معالمه في صور متعددة، فهناك المسجد وحلقاته ودروسه، وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجامعات الإسلامية، والمراكز الدعوية الرسمية منها والتعاونية، ومراكز دعوة الجاليات، والعمل الإعلاميّ الاقتصادي، وجهود الأفراد والجماعات في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

والعلة الكبيرة في جُل تلك الأعمال- فيما أظن وأُقدّر- هي ضعف التدريب وسوء التوجيه وقصوره؛ فالمسلم المعاصر مطالب بالدعوة إلى الله تعالى -كما طولب أسلافه- بنص كتاب الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] ثم إنه -في حقيقة الأمر- لا يعرف الكيفية الجيدة للدعوة، ولا الخطوات

الشرعية الصحيحة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بسبب أنه لم يُدرَّب على ذلك التدريب الكافي، أو لم يدرَّب على ذلك أبدًا، ولم يُخْطَ معه الخطوات اللازمة لتعريفه وإرشاده.

والشواهد على هذه المسألة أكثر من أن تُحصر وأكبر من أن تُغْفَلَ فتُحضر؛ فالمسجد - مثلاً- يقوم عليه إمام حائز على شهادة نظرية، لكنه لم يدرَّب على الإمامة ومواجهة المصلين والقيام بحقوق أهل الحي وجمع قلوبهم وجهودهم، والإجابة عن أسئلتهم الشرعية والاجتماعية، بل جيء به -غالبًا- إلى مسجد ما ولم يسبق له أن دُرب على ما سيقبل عليه، والأدهى من ذلك أنه يؤتى بأشخاص إلى الجوامع الكبيرة والمساجد المهمة، وكل ما يملكونه من رصيد هو جمال الصوت، لكن لم يدربوا ولم يؤهَّلوا، بل أزعم أن أكثر الأئمة ليسوا على شيء صحيح ذي أسس قويمة بل هم مجتهدون فيما يزاولون، محاولون أمراً ليس لهم به معرفة ولا تجربة، وأقصى ما عند أكثرهم شهادة شرعية لم يخالطها أو يتبعها تدريب مناسب.

والجامعات الإسلامية يضعف فيها التدريب ضعفًا ملحوظًا، وبعض الجامعات تكتفي - لتحقيق متطلبات التخريج - بإلزام طلابها بتدريس بعض الحصص لطلاب المدارس، وهذا لا يكفي في تأهيل المتخرج في تلك الجامعات وإعداده للواجبات الملقاة على عاتقه، وحتى حصص التدريب هذه فإنه لا يدرب عليها وليس له سابق معرفة عما سيصنعه مع الطلاب.

والمراكز الدعوية ومراكز دعوة الجاليات إنما يتصدى للعمل فيها أناس نحسبهم مخلصين لكن يُعْوِزهم التدريب الكافي، وتستخلص خبرتها بدوران

عجلة العمل اليومية، وليسوا متدربين في الأصل التدريب الكافي على هذا العمل المهم.

والعمل الخيري الإغاثيّ والتربوي - في هيئاته وجمعياته ولجانه- يقوم عليه أناس لا تنقصهم الغيرة ولا الحماسة لكنهم غير مختصين، ولا دُربوا التدريب الكافي على هذا الباب المهم من أبواب العمل الإسلاميّ، إلا قليلاً منهم، والقاعدة ما ذكرت.

والعمل الإعلامي -المقروء والمسموع والمرئي- يقوم عليه أشخاص ليس لأكثرهم تجارب سابقة، ولا تصورات صحيحة، ولا قواعد منضبطة مستقيمة فيما ينبغي عليهم عمله أو تركه، وما الذي يبث وما الذي يحجب عن العامة، وهكذا . . .

وهناك أمر عجيب، وهو أن المشاركين في الكتابة الإسلامية الناقدة لجوانب العمل الإسلامي المختلفة- ما ذكرته منها آنفًا وما لم أذكره- ليس لأكثرهم خبرة كافية فيما ينقدونه، ولا لهم مشاركة حاكمة دقيقة إلا ما يرونه من بعض آثار تلك الأعمال ونتائجها.

بل إن كثيراً من الكاتبين في الشئون الإسلامية العامة في جوانبها المختلفة إنما يتناولون موضوعات لم يحسنوا فهمها، ولا مارسوها، ولم تكن شيئًا واقعًا في حياتهم، ولم يلمسوها أو يتعرفوا عليها عن قرب، إنما هو حماس متدفق وغيرة تنقصها الخبرة والمعرفة والتدريب الكافي على حسن التناول والأخذ:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابةَ إلا من يعانيها

لذلك كله احتاج العمل الإسلامي - بجوانبه المختلفة- إلى الأخذ الجاد بأساليب وطرائق التدريب العملي القائم على أسس نظرية صحيحة حتى نستطيع أن نستجيب لمتطلبات هذا العصر المعقدة، ونجاري غيرنا من الأمم الكافرة التي استطاعت أن تصل إلى درجات عالية من الرقي لأخذها بجملة أسباب، منها التدريب الجاد والمتواصل في مجالات الحياة كلها تقريبًا.

أما الحديث عن أفراد الدعاة إلى الله - تعالى- وأحوالهم في باب التدريب والممارسة فهو حديث ذو شجون وهموم، وتناوله يحتاج إلى بسط وتفريع:

هناك أعداد ضخمة من المسلمين الصالحين اعتاد المجتمع على وصفهم بأنهم دعاة إلى الله - تعالى- وقد يكون بعضهم قد حاز هذا اللقب الشريف حقًا، لكن أكثرهم لم ينله بعد، هم صالحون حَسنو النية والقصد، سليمو الفطرة، جميلو الفعال، لكن الحديث عن الدعوة شيء آخر، والوصف بهذا اللقب الشريف يحتاج إلى تمهُّل وتريُّث؛ فالداعية إلى الله -تعالى- هو من يغْشَى المجتمعات، ويناقش ويجادل بالحسنى، ويعرض الحجج؛ ويبرهن على صحة قضيته وصواب عمله، ويجهد في ذلك كله، وهو مع ذلك يذكر بالله حالهُ ومقالهُ، فعلى هذا أقرر أنه قد نال كثير من المسلمين درجة الصلاح، لكن أن يكونوا دعاة فتلك قضية أخرى.

وهناك فئة من الصالحين قد داروا في حلقة مفرغة من القضايا النظرية التي هي أقرب إلى الإجراءات الإدارية منها إلى الدعوة العملية، فهؤلاء قد قَصّروا في بلوغ منزلة الداعية إلى الله -تعالى- وإن كانوا في أعمالهم تلك على خير نرجو أن يكونوا فيه مأجورين مثابين، إن شاء الله تعالى، وهذا التقصير مردُّه إلى

الطبيعة التي طُبع الصالح عليها لا إلى تعمده إغفالَ الخلطة المحمودة لطوائف المسلمين وإرشادهم عمليًا والأخذ بأيديهم دائمًا وعليها أحيانًا .

إن أولئك الصالحين - أو مَن نحسبهم كذلك- غفلوا أو أغفلوا أهمية أن يقرن القول بالعمل في هذه المسألة المهمة ، بمعنى أنه لا يمنعه الانهماك المتواصل في التخطيط والإدارة أن يبذل شيئًا من جهده للالتفات إلى الناس ومعرفة كيفية الوصول إلى قلوبهم وعقولهم .

كيف يكون داعيةً من لا يستطيع الحديث في المجالس ، أو لا يجيد توجيه أحاديثها ، أو أنه لا يغشى مجالس الناس أصلاً ، ولا يتعب نفسه في المحاورة مع أهلها ، ومجتمعنا المعاصر بحاجة ماسة إلى من يأخذ بيده ويجادل المعاند والضالَّ ، ويشجع المتردِّد ويأخذ بيد المُقدِم ، وأزعم أن المقدم قد وجد من يأخذ بيده لكن الطوائف الأخرى لم تُسعد بعد ولَم توجه لها الجهود الكافية .

إن دعاة اليوم لم يدربوا على هذا الأمر ، ولم يفكروا فيه كما ينبغي ، إلا طوائف قد نذرت نفسها لهذه القضية التبليغية ، مغفلة ما سواها من قضايا مهمة كثيرة ، فالتوازن المطلوب هو أن يكون الدعاة جامعين بين الدعوة العملية والإدارة النظرية ، ولو أُغفل جانب وعُني بآخر لحصل النقص واتسع الخرق . .

نعم إن عجلة الحياة اليومية لأصحاب القضية الدعوية قد تمنع من النظر الكافي لمعالجة هذا الأمر على ما ينبغي أن تكون عليه المعالجة ، لكن لا بد مما ليس منه بُد ، وهذا الأمر ليس من الأمور القابلة للإغفال ، بل هو أُسّ العمل وأساسه .

وأيضًا ينبغي أن ينبعث شعور ذاتي من كل عامل لله تعالى أنه ينبغي عليه أن يرتقي بنفسه دومًا وأبدًا، وأن يلتحق بما يستطيع ويتيسر له من دورات وأعمال تدريبية تأخذ بيده، لا أن ينتظر توجيه الآخرين وإرشادهم؛ فليس من أحد يحسن إدراك المنفعة أكثر من محتاجها، وليس الفاقد للشيء - عادة- بمنتظر نصيحة الواجد له، ولكن العجز والتواني هو السبب الظاهر والعامل القاهر، والله المرجو أن يبصر ويهدي إلى كل عمل صالح ومُرْضٍ.

ما الذي ينبغي صنيعه إذًا على ضوء ذلك الكلام المتقدم؟

ينبغي على المسلم - والله أعلم- أن يجمع بين الصلاح الذاتي وبين الدعوة العملية وبين القضايا الإدارية، على وجه يتيح له أن يسير في ركاب الأنبياء والصالحين الذين ساروا هذه السيرة قبله ودرجوا على الطريق وأوضحوا معالمه، فنبينا ﷺ كان القدوة والمثل في الصلاح الذاتي، وكانت القضايا النظرية التي يتدارسها المجتمع المسلم آنذاك منوطة به، فهو المؤصِّل لها والضابط، وكان -أيضًا- ﷺ القدوة العظمى في مسائل الخلطة والدعوة العملية، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصر، فقد كان النبي ﷺ يغشى القبائل، ويحضر تجمعات قريش، ويناقش المعاندين ويجادلهم بالحجة الواضحة، وحدِّث ما شئت عن دعوته اليهود والمنافقين في المدينة، ويقوم بكل واجبات الدعوة على المثَال المرغوب المطلوب.

أما أن تكتفي طوائف من المسلمين بالدعوة العملية وليس معهم ضوابط مؤصلة ونظريات هادية حاكمة لمسارها فهذا قصور، أو أن تكتفي طوائف من المسلمين بوضع الضوابط والنظريات المؤصلة، ثم إنها لا تبذل جهدًا مكافئًا قويًا

في تحقيق الخلطة العملية وغشيان المجتمعات فهذا قصور أيضًا، أو أن تأتي طائفة ثالثة بالعجب العجاب وهو الاكتفاء بنقد أهل تلك الطائفتين نقدًا لا يقوم على تقدير صحيح لما يبذله أولئك، أو تصور صحيح لما يرونه ويعتقدونه، فهذا جهل بقواعد النقد والتقويم، والعجيب أن تلك الطائفة تقيم عملها الإسلامي على محاربة تلك الطائفتين وتجهيل أمرهما، وهذا -تقريبًا- هو جلّ عملها.

والغريب أنه ما من جانب من جوانب الحياة تقريبًا إلا والقائمون عليه يشترطون فيمن يرغب المشاركة في إدارته -عن طريق التوظيف- خبرة عملية سابقة إلا الجانب الدعوي، فلم لا يُشترط ذلك في كل جوانب العمل الإسلامي التي يتاح اليوم لأكثر الناس المشاركة فيها بغير خبرة سابقة ولا تجارب كافية ولا ضوابط حاكمة» أ. هـ.

- هذا وقد فرغت من الكتاب سنة ١٤٢١/ ٢٠٠٠.

- **كتاب «أهل الإسلام والتفلت من ظاهر الالتزام»:**

هذا كتاب ألفته لأعالج به ظواهر أقلقتني في بلادي، وأردت من «ظاهر الالتزام» السمت والهدي الظاهر ومراعاة الشرع المطهر في اللحية واللباس والخلق والبعد عن الأغاني المصحوبة بالآلات الموسيقية؛ وذلك لأني رأيت بعض الدعاة والصالحين وطلبة العلم يقعون في مخالفات شرعية ويتمسكون بشاذ الفتاوى ليعللوا بها صنيعهم، فلما كثر هذا الأمر، وخفت أن ينتشر في المجتمع كتبت كتابي ذاك محذرًا من هذا الصنيع، ومبينًا أثره السيئ على الفرد والمجتمع، وقد اختلفت الأنظار في تقويم هذا الكتاب فمن متهم لي بالتشدد، وآخرين قبلوه وارتضوه، وما بي من تشدد - إن شاء الله- لكنها الأحكام الشرعية التي لا أستطيع الانفكاك عنها، فعلى سبيل المثال كيف أبيح الموسيقى

والمذاهب الأربعة على حرمتها بل حكى الإجماع على حرمتها ثلاثون من كبار علماء الإسلام من مختلف المذاهب، فكيف تباح بعد ذلك برأي فلان وفتوى فلان، هذا منهج عقيم لا أرتضيه للقدوات وموجهي المجتمع.

ومما كتبته في مقدمة الكتاب مبينًا سبب تأليفه:

«المشاهد لأحوال رجال الإسلام اليوم يجد أن عزمهم قريب من الكمال، وعملهم يوشك على التمام، إنهم إن قُورن دعاة الأمس بهم وُجد أن تفكيرهم أنضج، وخططهم أحكم، وآمالهم أعظم، وثمرتهم أقرب، وقد ساعدتهم ثلة ضخمة من العامة فصارت معهم وكانت من أسلافهم أبعد، وآزرتهم وربما كانت على أسلافهم أشد وأصعب، فالأحوال إذًا مهيئة، وقطاف الثمرة يبدو قريبًا، إن شاء الله تعالى.

لكن الذي ينغص على عملهم، وقد يُنقص أجرهم، ويَفُتُّ في عَضُدهم، ويوشك أن يقوض أحلامهم وآمالهم ما نشاهده من كثير منهم من التهاون في الالتزام، والتراخي بعد القوة، والنقص بعد التمام، وهذا من تسويل الشيطان، ومن ضعف النفس الأمارة بالسوء وعدم أخذها بالقوة والعزيمة والكمال، ولهذا التفلت من الالتزام شواهد عديدة وظواهر سقيمة سآتي عليها في هذه الرسالة، لكن أمهد بالقول إنها ظواهر خطيرة وآثارها في النفوس شديدة - وإن ادّعى من ادعى أنها قشور أو أنها أمور خفيفة- وهي من مؤخرات النصر، ومبعدات التمكين، وهي مضعفة للنفوس، مضعضعة للصفوف، مغرية بالمزيد من التهاون والتفلت، وهذا مكمن الخطر فيها، وأزعم أن دعاة الإسلام إن أرادوا

فلاحًا وعزًا وتمكينًا لا بد لهم أن يلتفتوا لهذه الظواهر ويولوها العناية اللازمة حتى لا تستفحل إلى ما هو أشد وأخطر؛ ولهذا كله كتبت هذه الرسالة، وسطرت هذه المقالة.

وآمل أن تجد آذانًا صاغية وقلوبًا واعية، وألا تقابل بالإهمال أو النكير الذي يولده الرأي الفطير والنظرة العجلى، بل يتأمل فيها الداعون والموجهون والتربويون، والمشايخ والفضلاء الإصلاحيون، ويسددونها بآرائهم، وينقدونها بالمزيد من أفكارهم ونظراتهم ثم يجعلونها منهجًا يربون عليه الناشئة ويأخذونهم به:

وينشأ ناشئ الفتيان منا ... على ما كان عوّده أبوه

والدعاة المربون للناشئة هم آباؤهم في التوجيه والتربية، والأخذ بأحسن الطرائق، والإقبال على العزائم والتقليل من الترخص، وإبعادهم عن الضعف والتراخي والتهاون، فإذا فعل المربون ذلك، وأخذوا أنفسهم وناشئتهم بهذا فالبشرى بقرب النصر والتمكين حاصلة، والفرج بنصر الله كائن، والثقة بأن الصحوة ستؤتي أكلها قائمة، وإلا فإني أخشى ما أخشاه أن نكون كمن بنى قصورًا على الرمال، وعقد الآمال تلو الآمال لكن بدون عظيم الأعمال، وكان كمن ألقى حمله على ناشئة ناقصي التربية والتوجيه فحدث عن سوء النتائج ولا حرج، وعن اقتراب اليأس وبُعد الفرج.

كان الله في عون أولئك المربين، من الدعاة والمشايخ والفضلاء والموجهين، وهو - جل جلاله- حسبنا ونعم الوكيل، وإليه المفزع وهو المعين.

وهذه الظواهر سجلتها بعد معاشرة طويلة لطبقات مختلفة من أهل الإسلام، وتنقل دائم، ومقابلات كثيرة، واجتماعات عديدة، وطواف في البلاد، وملاحظة لحال العباد، فلم يكن الأمر الذي أكتب عنه هاهنا تخرصات مرسلة أو ظنونًا باطلة، أو نقلاً لشائعات مغرضة بل هو سماع الأذن ورأيَ العين، وهو ليس قاصرًا على فئة أو جماعة معينة بل هي أمراض سارية في كثير ممن قابلت ورأيت، على تنوع اتجاهاتهم ومشاربهم، وأرجو أن يكون فيما أكتبه شيء من التقويم والعلاج» اهـ.

- كتاب «**حصول الطلب بسلوك الأدب**»:

هذا كتاب ألفته في أهمية التزام أدب الخلاف بين المسلمين -خاصة دعاتهم ووجهاءهم وموجهيهم- وذلك لما رأيته وسمعته من أمور أفزعتني، وخلاف أقلقني، وقد حشدت فيه آثارًا وأخبارًا وقصصًا لسلف الأمة وخلفها تبين أهمية التزام الأدب في التعامل، وأن المجتمع لا يقوم قيامًا صحيحًا إلا بهذا، وأوردت حوادث عجيبة رأيتها أو سمعت بها.

ومما قلته في مقدمة الكتب:

« رزقني الله وإياك حسن الأدب، وسهل لنا طرائقه، وحبب إلينا مسالكه، وعرفنا دقائقه، وزين لنا فضائله، وجعل بيننا وبينه نسبًا، ورزقنا منه سببًا، وأشعر قلبك عزه، وأودع صدرك برده، وعرفك حلاوته.

وعصمني وإياك من سوء الأدب، وعرفنا ما فيه من الذلة، وما لسالكه من القلة، وما لمستحله من هوان، وما لمستسيغه من الخسران، وما يورث صاحبه من الطغيان الذي هو من أعظم أسباب الكفران.

واعلم أخي، أنه ما دفعني إلى تصنيف هذه الرسالة، وتسطير تلك المقالة، إلا ما رأيته من مظاهر أفزعتني، وما سمعته من أحداث أرقتني، وما لمسته من معاملات أقلقتني، فجعلني ذلك كله كأني - علم الله - مدفوع دفعًا لما صنعته، ومأمور بما سطرته، لا أملك حيلة لرده، ولا أطيق مقاومة لأمره، وقد سد هذا الوارد عليّ أبواب الأعذار، وساقني - ولم يقبل الإمهال - حتى جعلني أشرع في تصنيف هذا الذي أعده للآخرة، وتأليف ما لم أرد به المفاخرة؛ إذ عندي من الأعمال ما يمنعني من سلوك هذه الطرائق، ويشغلني عن السير في تلك المضائق».

هذا وقد فرغت منه سنة ١٤١٥/ ١٩٩٤.

- كتاب «**من مآسي الافتراق: نماذج تاريخية ومعاصرة**»:

وهو يشبه في بعض جوانبه الكتاب السابق لكنه يفارقه في ذكر مآسي الافتراق العام في الأمة، أما كتاب «حصول الطلب» الآنف الذكر فإنه يتعلق بالأفراد أكثر من تعلقه بعموم الأمة.

وفي هذا الكتاب أوردت بعض المآسي الناشئة عن الافتراق في الماضي والحاضر، وذلك نحو الخلاف بين الشافعية والحنابلة، والشافعية والأحناف، أما العصر الحاضر فجئت ببعض المآسي التي حصلت في أفغانستان وغيرها.

هذا وقد فرغت من الكتاب سنة ١٤٢٥/ ٢٠٠٤.

- كتاب «**القدوات الكبار بين التحطيم والانبهار**»:

هذا كتاب ألفته بعد أن أرقني أمران سائران شائعان في المسلمين متناقضان كل التناقض، وهما الانبهار بالقدوات انبهاراً يؤدي إلى الافتتان بها، أو تحطيمها وهدمها تمامًا، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وبينت الأمر الوسط وهو منهج الموازنة

الذي ارتضاه علماء الجرح والتعديل من سلفنا الطاهر وأنكره -ويا للعجب- بعض المشايخ وطلبة العلم في عصرنا، ثم أوردت نماذج عديدة على هذا التحطيم والانبهار منذ زمن السلف إلى زماننا هذا، ومما قلته في المقدمة:

«هذه رسالة أُسَطِّرها بقلبي قبل قلمي، وبعقلي قبل لساني، أبيِّن فيها قضية مهمة طغت فيها أقلام، وزلّت فيها ألسن، وماجت بها أفكار، وضَلّت معها أفهام، وانقسم الناس فيها بين مُفْرط ومفرِّط، وقَلّ فيها الاعتدال، وضاع التوسُّط، وانمحت آثاره، ودَرَسَتْ معالمه، وخَفَتَ صوته فلم يَعُد مسموعًا، وعُقِل لسانه فلم يعد مبينًا ولا مفهومًا، وكثرت كتابات الكاتبين، وتعالى صوت المنتصرين لآرائهم الجامحين، وقَلّ الخوف من الله تعالى رب العالمين، فكم وُلِغ في أعراض، وتُكُلِّم في أناس بُرآء، وهُدم من الناس أركان مشيدة من حسن السمعة وجميل الطريقة، وادّعى المدعون اتباع طريقة الأسلاف، وهم منها بعيدون، إن هم إلا جفاة أجلاف.

وفي الوقت نفسه سُطِّرت مآثرُ لقوم هم عنها ضالون، وادُّعي لهم من الفضائل ما لا يكون، فسبحان الله كيف صار الأمر دائرًا بين الغلو والجفاء، والإفراط والتفريط، وكأن القوم اتفقوا على عدم العدل، والتقت أفعالهم وأقوالهم على طريق وَعْر، ولقد حذّر من صنيعهم رب العزة والجلال، ورسوله ﷺ وأهل الفضل والكمال، وسترى أخي القارئ في ثنايا هذه الرسالة ما سيطول معه عجبك، وينفر منه عقلك وقلبك، ويجلب لك الألم والحسرة على حال كثير من بني قومك، لكن لا بد من معرفة المرض وأعراضه، والمشكلة وآفاتها، قبل أن يتسع الخرق على الراقع -وقد أوشك وقارب- أو يصعب العلاج ويضعف المداوي، وتطيش موازين الهوى، ويعلو صوت الغالين، ويقود الجرحَ والتعديلَ كثير من الجفاة الحاقدين، أو مَن لم تَسْلم لهم الأفهام ولا الموازين.

هذا وقد كنت كتبت قبل ذلك رسالة في سلوك الأدب وحضضت عليه، لكن الأمر الآن قد طغى وربى بحيث لم يعد في حدود الأدب وعدمه، بل جاز ذلك إلى حد ارتكاب المناهي الشرعية، وعدم الوقوف عند حدود الله تعالى المرعية، فهذا الذي خاف الصالحون أن يكون، فإنا لله وإنا إليه راجعون» اهـ.

هذا وقد فرغت من الكتاب سنة ١٤٢٣/ ٢٠٠٢.

- ومن الكتب التي ألفتها أيضًا كتاب «**الثقافة الآمنة**» وقد ألّفته استجابة لطلب من كثيرين رجوني أن أكتب شيئًا في المصادر والمراجع للعلوم المختلفة خاصة التاريخ، فرأيت أن أُجيب طلبهم لكن على وجه أوسع وأشمل، فكتبت هذا الكتاب لأبين ماهية الثقافة، ولأجيب عن سؤال مهم طالما بغى في إجابته جماعات من العلمانيين والليبراليين ألا وهو: متى يُعد المرء المسلم مثقفًا؟ وذلك لأن هؤلاء غفر الله -تعالى- لهم وهداهم سواء السبيل استبدوا بالثقافة، وقصروها على أنفسهم ومَن نهج سبيلهم من الحداثيين والمتغربين وغيرهم ومنعوها غيرهم تمامًا، وكَبُر عليهم أن يُقروا بأن هنالك جماعات كثيرة من المثقفين لا ترى رأيهم، ولا تسلك سبيلهم.

وقد سردت في هذا الكتاب جملة من الكتب التي إن اطلع عليها المرء وفهمها وعرف ما فيها رجوت له أن يكون مثقفًا إن شاء الله تعالى، وفي الكتاب مباحث أخرى عديدة، وتفصيل كل ذلك هو الآتي:

١- كتبت مقدمة موجزة في المبحث الأول تعين القارئ على فهم مصطلح الثقافة، والمراد منه، وعلاقته بمصطلحات أخرى كالحضارة والعلم، ومعنى الثقافة الإسلامية وتاريخها.

٢- حاولت الإجابة عن السؤال الصعب: متى يُعد الإنسان مثقفًا؟ وهذا

أصعب ما حاولته وعانيت منه في ذلك الكتاب؛ وذلك لأن الناس انقسموا انقسامًا بينًا في هذا الأمر، ولم يوصل فيه إلى الآن إلى شيء ذي بال، وكثير ممن كتب في الثقافة أهمل هذا الموضوع فلم يلتفت إليه، هذا مع أنه - فيما أرى- حجر الزاوية في هذا الباب، وهو لب اللباب، وذلك لأنه يضبط البدايات ويُحكم النهايات، ويكون عونًا على التحصيل النافع الجيد.

فلا بد من قدْر مشترك بين الأمم مَن حَصّله يعد مثقفًا، أما الأمة الإسلامية فلا بد للمثقف فيها من تحصيل ليس يماثله تحصيل الآخرين إلا في قدرة المشترك فقط، وسآتي على تفصيل ذلك في ثنايا الكتاب، إن شاء الله تعالى، لكن لا بد من معرفة أن أكثر منابر الثقافة في العالم العربي يسيطر عليها أشخاص يدعون أنهم مثقفون وهم ليسوا كذلك في الحقيقة -كما سأبين بعد في ثنايا الكتاب، إن شاء الله - ومن جهة أخرى حصرت هذه المنابر الشخصيات الثقافية، غالبًا، في الأدباء والشعراء والصحفيين وأمثالهم، وأهملت - عمدًا في أغلب الأحوال- سائر المثقفين الحقيقيين في المجتمع، وأقامت هذه المنابر الثقافية سدًا بينها وبين علماء الشريعة وطلابها الذين حيل بينهم وبين هذه المنابر؛ ولذلك كله حرصت على تعريف المثقف وتوضيح المعايير الثقافية الحقيقية التي ينبغي أن تسود في المجتمع.

٣- ثم ذكرت أهمية تحصيل الثقافة الإسلامية، وأثر ذلك في الناس والمجتمعات.

٤- ثم إني أتيت على سبل وطرائق تحصيل هذه الثقافة، وهو أمر شاق صعب، وهو -على الحقيقة- تفصيل لما أُجمل في الأمر الثاني الذي ذكرته آنفًا، فبينهما تلازم لا يخفى، وهو أمر صعب لأنه اجتهادي تختلف فيه الأنظار، ولأني لم

أجد من تحدث في هذا الموضوع الحديث الشافي الموسع، بل أغفله الكثيرون كما ذكرت سابقًا، فلم يأتوا عليه في مصنفاتهم التي صنفوها في الثقافة.

٥- وقد ذكرت جملة من المصادر والمراجع في كل ما أوردته من مسائل؛ وذلك لإعانة طالب المعرفة على التوسع في القراءة والفهم بالاطلاع على مصادرَ ومراجعَ موثوقة -إن شاء الله تعالى- في بابها.

هذا وقد طلب مني كثير من الناس، ولا أحصيهم عددًا لكثرتهم، طلبوا مني طلبًا ملحًا في أوقات كثيرة: أن أكتب لهم شيئًا يعينهم على التعرف على المصادر والمراجع حتى يقتنوها، وذلك في أبواب العلوم الشرعية واللغوية والتاريخية وما يتصل بها، وكنت أجيبهم بأن هذا أمر صعب، لكن إلحاحهم الكثير جعلني أفكر بأن أودع جملة كبيرة من المصادر والمراجع في هذا الكتاب ليكون محققًا لجزء مما طلبوه لكن على وجه متصل بمسألة مهمة هي مسألة تحصيل الثقافة الإسلامية النافعة، وعسى أن يكون هذا الذي قدمته نافعًا ومساعدًا لإخواني ومجيبًا لطلب قديم ألحوا عليَّ فيه مرارًا، أو لجزء من هذا الطلب.

٦- ثم إني حاولت أن أُعرّف -موجزًا ما استطعت- ما أوردته من علوم وفنون، مع عدم التوقف طويلاً عند تفصيلاتها ومسائلها؛ وذلك لأني أريد من كتابي هذا أن يكون - إن شاء الله تعالى- مرجعًا موجزًا لمن يريد تحصيل الثقافة، لا أن يتحدث بالتفصيل عن العلوم والفنون التي لها مكان آخر معلوم.

ثم إني أردت من الكتاب أن يكون موجزًا، قليل الصفحات ما أمكنني

ذلك؛ لأني أؤمن إيمانًا تامًا بأن هذا الجيل لا يكاد يقرأ من أفراده إلا القليل، وأنه -في عمومه- ليس معنيًا ولا مريدًا للجوانب النظرية التفصيلية التي تجلب له السَأم والملل وتصرفه عن القراءة، إنما الإيجاز والولوج إلى المراد سريعًا هو أسهل عليه، وأنفع له، وأحسن لحاله، في ضوء رغبة عقلاء الأمة من علماءَ ومشايخَ ودعاة ومثقفين ومفكرين أن يُحَسِّنوا لهذا الجيل القراءة، ويزينوا له العكوف عليها والاغتراف منها، والله المستعان. اهـ.

- ومن الكتب الطريفة في منهجها والجديدة في طريقة وضعها كتاب «نَحْوُ الدعاة»، وهو كتاب أردت منه تنزيل بعض قواعد النحو على العمل الدعوي، وقد حذوت فيه حذو الأستاذ القُشيري[1] في كتابيه «نَحْوُ القلوب الكبير»، و«نَحْوُ القلوب الصغير» واستفدت من بعض ما أورده في كتابيه، وأردت الربط بين قواعد النحو وقواعد الدعوة، ومما قلته في المقدمة:

«هذه رسالة «نَحْوُ الدعاة» ألفتها على طريقة القواعد النحوية، وربطت بين عمل الدعاة وصفاتهم وبين هذه القواعد على هيئة تساعدهم في تذكر ما ينبغي أن يكونوا عليه ويقوموا به، وكما أن علم النحو يُقَوِّم الألسنة فهذه الطريقة أرجو أن تُقَوِّم السلوك والعقول والأفئدة، أو على الأقل تكون مذكرة بتلك المعاني العلية.

---

(١) هو الشيخ الإمام، الزاهد، القدوة، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، المفسر، صاحب الرسالة. ولد سنة ٣٧٥ هـ. كان عديم النظير في السلوك والتذكير، لطيف العبارة، طيب الأخلاق، له عدة مصنفات وكان على مذهب الشافعي. توفي سنة ٤٦٥ هـ بـ «نيسابور» رحمه الله تعالى. انظر «سير أعلام النبلاء»: ١٨ / ٢٢٧ - ٢٣٣.

وقد ألفتها على طريقة موجزة تناسب طرائق أهل العصر في الشَغَف بالقراءة الخفيفة السريعة وقلة الإقبال على المطولات.

وربطتها بقواعد النحو كي تكون لافتة للأنظار في مبناها فيتساءل الدعاة عن فحواها، ويقبلون على معناها، ويتدبرون في مغزاها.

وقد أتيت في بعض المباحث التي أوردتها بنصوص من الكتاب والسنة، وبعضِ شواهد من أحوال السلف تعضد ما أوردته.

ولم أشأ أن أطيل النَفَس في الشرح إلا في حال الحاجة إليه، والأصل هو الإيجاز في الإيراد حتى يكون الكتاب صغير الحجم، سهل التناول.

وعند بياني لقواعد النحو حرصت على ذكرها بأوجز عبارة وأدلّها على المقصود، ولم أتوسع لعلمي أن أكثر القراء لا يستسيغون هذه القواعد ولا يحبذون الوقوف عليها طويلاً.

وإليكم معشر القراء هذه المباحث:

المبحث الأول: الاسم والفعل والحرف.

المبحث الثاني: وجوه الإعراب.

المبحث الثالث: المبتدأ والخبر.

المبحث الرابع: الفعل الماضي والحاضر والمستقبل.

المبحث الخامس: الحال.

المبحث السادس: الشرط والجزاء.

المبحث السابع : التمييز .

المبحث الثامن : الأسماء الستة .

المبحث التاسع : الصفة .

المبحث العاشر : التذكير والتأنيث .

المبحث الحادي عشر : المعرفة والنكرة .

المبحث الثاني عشر : الممنوع من الصرف .

المبحث الثالث عشر : البدل .

المبحث الرابع عشر : التأكيد .

المبحث الخامس عشر : التصغير .

المبحث السادس عشر : البناء والإعراب .

المبحث السابع عشر : التحذير .

المبحث الثامن عشر : التحضيض .

المبحث التاسع عشر : التنازع .

المبحث العشرون : جمع السلامة وجمع التكسير .

المبحث الحادي والعشرون : جمع القلة والكثرة .

المبحث الثاني والعشرون : الحكاية .

المبحث الثالث والعشرون : النداء .

المبحث الرابع والعشرون : المندوب .

المبحث الخامس والعشرون: الوقف.

المبحث السادس والعشرون: الاختصاص.

المبحث السابع والعشرون: الاستغاثة.

وقد حاولت ألا أتكلّف في تنزيل تلك القواعد على العمل الدعوي، وأن يكون الكتاب سلسًا قدر الإمكان، وأترك الحكم على ذلك للقارئ، وإليكم هذا المثال الموضح لهذا العمل:

المبحث الأول: الاسم والفعل والحرف

الكلام في اللغة ينقسم إلى اسم وفعل وحرف.

والكلام ينقسم إلى مفيد وغير مفيد.

والكلام المفيد هو الاسم والفعل، أما الحرف فلا يفيد معنى إذا انفرد.

والكلام في «نحو الدعاة» ينقسم إلى مفيد وغير مفيد:

فالمفيد هو ما كان لله تعالى خالصًا، وما كان لمصلحة راجحة على الصمت، قال تعالى:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

وقال ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»**(١).

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الأدب: باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، وقوله تعالى: ﴿ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾.

والاسم في النحو:

هو ما يدل على معنى مستقل بالفهم؛ أي من غير أن يحتاج في الفهم إلى كلمة أخرى معه، ليس الزمن جزءًا منه، أي أن الاسم لا يقترن بالزمن، مثل: علي، وطائر.

وله علامات تميزه عن الفعل والحرف.

وفي «نحو الدعاة»:

الاسم غير مهم لكن المهم هو الفعل، فكم من جنود لله قد قضوا نَحْبَهم وماتوا ولم يعرفهم إلا القليل، أولم يعرفهم أحد.

والداعية إذا أراد بعمله اشتهار اسمه ورفع ذكره في الأرض كان على خطر عظيم، لكن ليرد وجه الله -تعالى- بعمله دائمًا:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦]

قال عبدالله بن المبارك[1] رحمه الله تعالى:

«رب عمل صغير تكبره النية، ورب عمل كبير تصغره النية»[2].

(١) عبدالله بن المبارك المروزي مولى بني حنظلة. ثقة ثبت، فقيه عالم، جواد، مجاهد، جمعت فيه خصال الخير. مات سنة ١٨١ هـ وله ٦٣ سنة رحمه الله تعالى. انظر «التقريب»: ٢٦٠.

(٢) «نزهة الفضلاء»: ٢/ ٧٦٩.

وقال الربيع بن خُثَيْم[1]:

«كل ما لا يراد به وجه الله يَضْمحل»[2].

وقال أيوب السَخْتِياني رحمه الله تعالى[3]:

«ما صدق عبد قط فأحب الشهرة»[4].

والاسم الصحيح في النحو:

هو ما لم يكن فيه حرف من حروف العلة: الألف والواو والياء، والمعتل ما كان فيه واحد منها.

والاسم الصحيح في «نحو الدعاة»:

هو الداعية الخالي من العلل النفسية والأمراض القلبية.

والمعتل: ما كان فيه شيء من ذلك، والعياذ بالله.

والاسم في النحو مشتق من السموّ - على خلاف-.

وفي «نحو الدعاة»:

سموّ الداعية فوق الشهوات، وارتفاعه فوق حظوظ النفس، وعلوه على النقائص والخسائس، قال القشيري رحمه الله تعالى:

---

(١) أحد كبار التابعين، أدرك زمان النبي ﷺ ولم يره، توفي قبل سنة ٦٥هـ، انظر «نزهة الفضلاء»: ١/ ٣٨٠.

(٢) «نزهة الفضلاء» ١/ ٤٩٣.

(٣) إمام حافظ، عداده في صغار التابعين. توفي بالبصرة سنة ١٣١هـ. انظر ترجمته في «نزهة الفضلاء»: ١/ ٤١١.

(٤) «المصدر السابق».

«مَن قرّبه في سابق مشيئته فقد سما قدره بين بَرِيّته».

وإن قيل إن الاسم في النحو مشتق من السمَة، وهي العلامة، فالاسم - على هذا القول- في نحو الدعاة هو ما يكون علَامة على الداعية من خلالٍ حسنة وصفات جميلة وأفعال جليلة وشمائل لطيفة، أو عكس ذلك والعياذ بالله.

والفعل في النحو:

هو ما يدل على معنى مستقل بالفهم، والزمن جزء منه، وله علامات وأنواع.

والفعل في «نحو الدعاة»:

هو العمل المؤثر النافع الذي يُعمل لوجه الله - تعالى - ويكون موافقًا للشرع ولا يخالفه.

وهذا الفعل هو الأمر المبارك الذي يُنتظر من الداعية، وإلا فداعية بدون عمل مؤثر وفعل في الأرض مُغَيِّر كشجرة بلا ثمر.

والتاء الملصقة بكلمة «الداعية» هي للمبالغة في الدعوة والحرص عليها حتى تصبح سمة من سمات الداعي وتغلب عليه، فإن لم يكن الأمر كذلك فالتاء هنا للتأنيث!!

- **ومن أقسام الفعل عند النحاة: الفعل اللازم والفعل المتعدي.**

والفعل اللازم: هو ما لا ينصب المفعول به مثل خرج وفَرِح.

والفعل المتعدي: هو ما تجاوز حدثه الفاعل إلى المفعول به وذلك نحو: قرأ محمد درسه.

وفي «نحو الدعاة»:

الفعل اللازم: هو ما لا يتعدى نفعه صاحبَه، وهو ما يسمى بالنفع الذاتي.

والفعل المتعدي: هو الذي يتعدى نفع صاحبه إلى الناس، وهو ما يسمى بالنفع المتعدي، وهو خير الأفعال؛ لعظم أجره وكثرة ثوابه، إن شاء الله تعالى.

وقال الأستاذ القشيري، رحمه الله تعالى:

«والفعل المتعدي على أقسام: منها ما يتعدى إلى مفعول واحد، ومنها ما يتعدى إلى مفعولين، ومنها ما يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل...

كذلك العبد قد تتعدى أفعاله إلى عالَم من الناس...»[1].

- **والأفعال على قسمين: صحيح ومعتل.**

فالصحيح -في النحو- من الأفعال ما لم يكن فيه حرف من حروف العلة: الألف أو الواو أو الياء.

والفعل الصحيح في «نحو الدعاة»:

هو ما سلم من العلل والأمراض القلبية كالرياء والعُجْب.

(١) «نحو القلوب الكبير»: ٣١٥.

- وقد يكون حرف العلة في الفعل -في النحو- في أوله، وهو ما يسمى بالمثال، نحو: وقى.

وكذلك في «نحو الدعاة»: قد تكون العلة في البدايات مثل ضعف الهمة، أو قلة الإخلاص، أو ضعف التربية.

- وقد يكون حرف العلة في وسط الفعل وهو ما يسمى في النحو بالأجوف، نحو: قال.

وكذلك في «نحو الدعاة» فقد تصيب العلة الداعية أثناء دعوته كأن تلحقه شبهة أو قلة إخلاص.

- وقد يكون حرف العلة في آخر الفعل، وهو ما يسمى في النحو بالناقص، نحو: رمى، دعا.

وكذلك الشأن في «نحو الدعاة» فقد يفعل الداعية فعلاً حسنًا فإذا فرغ منه أفسده بالرياء، أو قَلّل من أجره بالمنّ أو العُجْب.

- وهناك قسم من الأفعال يسمى بالمضعّف وهو ما اجتمع فيه حرفان متماثلان فأدغم أحدهما في الآخر نحو: شَدّ، وفَرّ، وشّذّ، وظَلّ. وله أقسام.

وكذلك في **«نحو الدعاة»** فإن الله تعالى يضاعف من أجر الفعل بقدر ما فيه من الإخلاص والمحبة لله والرضى به، وقد يضاعف وزر صاحبه -والعياذ بالله- إذا اجتمعت في الفعل علل قادحة كالرياء والمنة والعُجْب.

- **ومن أقسام الفعل:**

الفعل المبني للمجهول وهو ما لم يُسَمّ فاعله، نحو فُتِحَ، ودُعِيَ.

وهو في «نحو الدعاة»:

الفعل الذي يُبتغى به وجه الله تعالى ويحسن عدم معرفة فاعله لطلب المزيد من الإخلاص.

أو هو الفعل الذي يفعل لوجه الله تعالى ولا يهم من يكون فاعله.

والحرف في النحو:

هو ما يدل على معنى غير مستقل بالفهم، مثل: هل، في، لم.

وله علامات وأنواع.

ومن معاني الحرف في اللغة:

هو الوجه، ومنه قوله تعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ﴾ [الحج: ١١].

أي يعبده على وجه واحد لا يصبر على تغيره، وهو وجه الخير.

والحرف والوجه عند الداعية:

الطريقة التي يدعو بها، فمن الدعاة من يدعو -فقط- إذا وجد مُعينًا.

ومنهم مَن يدعو إذا أحب المدعو أو أنسَ به.

ومنهم من يدعو إذا كان مطمئنًا نفسيًا، فإذا اعتلّت نفسه ولو شيئًا قليلاً ترك الدعوة.

ومن الدعاة مَنْ يدعو إذا لم يكن في حياته مشكلة مؤرقة، فإن وُجدت مثل هذه المَشكلات انصرف عن الدعوة وهكذا.

والذي ينبغي للداعية أن يستمر في دعوته على وجه -حرف- واحد من القوة لا يتغير إلا بما تمليه الطبيعة البشرية، وضرورة الإنسية، وقد يفتر قليلاً ولا بأس لكن يعود سريعًا بحيث يبقى المنحنى البياني عنده على وجه من الثبات يكاد يكون واحدًا، وليتذكر دائمًا قول عائشة رضي الله عنها:

«كان أحَبَّ العملِ إلى رسول الله ﷺ الذي يدوم عليه صاحبه»[1].

وما أحسن قولَ الأستاذ المودودي[2] حينما قال لأتباعه حاضًا إياهم على الدعوة والاجتهاد فيها وعدم خلق المعاذير للانصراف عنها:

«إنه من الواجب أن تكون في قلوبكم نار مُتّقدة تكون في ضرامها - على الأقل - مثل النار التي تتقد في قلب أحدكم عندمَا يجد ابنًا له مرَيضًا ولا تدعه حتى تجرّه إلى الطبيب، أو عندما لا يجد في بيته شيئًا يسد به رَمَق حياة أولاده فتقلقه وتضطره إلى بذل الجهد والسعي. . .

عليكم بالسعي ألا تنفقوا لمصالحكم وشئونكم الشخصية إلا أقلّ ما يمكن من أوقاتكم وجهودكم فتكون معظمها منصرفة لِما اتخذتم لأنفسكم من الغاية في الحياة. . .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق: باب القصد والمداومة على العمل.

(٢) أبو الأعلى المودودي، العلامة الداعية. وُلِدَ في أورانج آباد في الهند سنة ١٣٢١هـ، واشتغل بالدعوة والجد والاجتهاد حتى استقلت باكِستان عن الهند فانتقل إليها وطالب الحكومة بالعمل بالشريعة فسجن مراراً. نال جائزة الملك فيصل ١٣٩٩ هـ وله مؤلفات كثيرة. توفي رحمه الله تعالى سنة ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م. انظر: «تتمة الأعلام»: ١/ ٧٣-٧٥.

الحقيقة أن الإنسان إذا كان قلبه مربوطًا بغايته، وفكره متطلعًا إليها فإنه لا يحتاج إلى تحريض أو دفع...»[1].

وإذا قرأ المرء هذا الكلام، واطّلع على حال أكثر الدعاة اليوم انكشف له سر تأخر أكثر المسلمين وضعفهم ومراوحتهم مكانهم؛ ذلك أن الأعمال الجسيمة محتاجة إلى همة جليلة وعمل دائب متصل، وبغير ذلك تصبح أحلامًا أو قصوراً من ملح مبنية على شاطئ بحر رملي توشك أن تسقط في أي وقت، والله المستعان» اهـ.

هذا وقد فرغت من الكتاب سنة ١٤٣٢/ ٢٠١١.

- كتاب **«الجانب الفكري عند المشتغلين بالعلوم الشرعية»**:

وهذا كتاب أُعُدُّه من الكتب المهمة؛ وذلك لأنه يعالج هذا المرض السائد عند كثير من المشتغلين بتحصيل العلوم الشرعية الذين يهملون الجانب الفكري والعناية به، وهذا أورث بعضهم جمودًا، وأورث آخرين جهلاً فاضحًا بكثير من أمور الدنيا التي ينبغي على أمثالهم معرفتها، وأورث بعضهم عداء للمفكرين واستخفافًا بكل ما يمت للثقافة والفكر بصلة، وهذا من الغلو الذي يجب أن يتنزه عنه أولئك.

هذا وقد فرغت من الكتاب سنة ١٤٢٨/ ٢٠٠٧.

- ومن الكتب كتاب: **«جدد حياتك: رسالة لمن جاوز الأربعين»**:

كتبته كما هو ظاهر من عنوانه تحذيراً لمن جاز الأربعين، وتنبيهًا له حتى يسلك مسلكًا غير الذي سلكه في حياته، ويستعد لما بقي من أيامه، واقترحت له طرائق يستفيد منها في استغلال ما بقي له من قوته، وما كتب له من أجَله.

(١) «تذكرة دعاة الإسلام»: ٥٨.

هذا وقد فرغت منه سنة ١٤٢٤/ ٢٠٠٣ .

- ومن الكتب كتاب : «**تسبيح ومناجاة وثناء على ملك الأرض والسماء**»:

أوردت في هذا الكتاب التسابيح الجليلة الواردة في كتاب الله -تعالى- وسنة رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وعظماء الصدر الأول، وفضلاء القرون الثلاثة الأولى ومَن تبعهم إلى زماننا هذا، ولم أكثر فيه من التعليق إنما كتبت في مقدمته شيئًا وضحت به أهمية هذا التسبيح، وأن الله - تعالى- يحب من عباده أن يسبحوه ويمجدوه ويمدحوه، وأن هذا عبادة من أجلِّ العبادات، ولا أكتم القراء أني لم أجد بعد التسابيح المأثورة أجلَّ ولا أعظم من تسابيح الأستاذ الأديب البارع أبي حيان التوحيدي[1] المتوفى أوائل القرن الخامس، فقد أجاد في إنشاء تسابيح لا أدري - والله- كيف أتى بها، ولا كيف طاوعته قريحته على نظمها ذلك النظم الجليل، وذلك في كتابه ذي الأجزاء التسعة: «البصائر والذخائر».

وهناك تسبيحات جليلة أخرى مبثوثة في الكتاب، وهي كلها - تقريبًا- مؤثرة قوية.

---

(١) علي بن محمد بن العباس، أبو حيان التوحيدي. شيرازي وقيل نيسابوري. اختلف الناس فيه اختلافًا بينًا، فمن قائل إنه زنديق، ومن موثق. طلبه الوزير المُهَلبي ليقتله فهرب منه ومات في الاستتار. كان متأدبًا، متصوفًا، متفننًا في علوم كثيرة، واسع الدراية والرواية. توفي سنة ٤١٤هـ رحمه الله تعالى. انظر «الوافي بالوفيات»: ٢٢/ ٣٩-٤١، و«سير أعلام النبلاء»: ١٧/١١٩-١٢٣.

وعندي أنه يبعد تمامًا القول بأنه ملحد بل هو موحد - إن شاء الله تعالى- والقارئ لكتبه يعلم ما قلته فيه، وظهر الخلل في تقويمه لعدة أسباب منها ذرابة لسانه، ومنها نقمته الشديدة على مجتمعه لكونه كان شديد الفقر ولم يجد من يواسيه فبدرت منه كلمات فُهم منها الاعتراض على الذات العلية.

والتسبيح مطلوب في بدايات الدعاء وأثنائه، وهو مؤثر في النفوس، وما أحسن أن يستفيد من روائعه الأئمة في التراويح يُصَدِّرون به دعاءهم فيكون له أعظم الأثر في المصلين، والله أعلم.

هذا وقد فرغت من تصنيف الكتاب سنة ١٤٢٠/ ١٩٩٩.

- ومن الكتب كتاب «**عظمة الله تعالى وعز وجلّ**»:

وقد أوردت فيه صوراً على عظمة الله -تعالى- الجليلة العظيمة من كتاب الله -تعالى- وأحاديث رسوله الكريم ﷺ، ومن أقوال السلف والخلف، وكذلك أوردت صوراً على عظمته من روائع خلقه في جسم الإنسان وفي الفلك والبحر وغير ذلك.

هذا وقد فرغت منه سنة ١٤٣٠/ ٢٠٠٩.

- كتاب «**الخطاب الإسلامي بين الواقع والمأمول**»:

وهو كتاب يعالج جوانب الخلل في الخطاب الإعلامي المعاصر، ومواضع القصور التي ينبغي تلافيها.

- كتاب «**قصص وطرائف عن الحج في القرون السوالف**»:

وقد جمعت في هذا الكتاب عدداً من القصص والطرائف التي حدثت في الحج منذ ثمانية قرون خلت إلى القرن الماضي.

- كتاب «**الشوق والحنين إلى الحرمين**»:

في هذا الكتاب بينت مدى تعلق المسلمين بالحرمين الشريفين، ومدى الحب لهما والشوق إليهما، وهذا الشوق والحنين هو الذي حفظ الله -تعالى- به

شعيرة الحج في زمن كثر فيه قطع الطريق من قبَل الأعراب، والخوف من الغرق في البحر، وقد وصل الأمر ببعض علماء المَشرق والمغرب أنهم أفتوا بسقوط فريضة الحج عن المسلمين البعيدين بسبب قلة الأمن وكثرة الخوف، لكن أكثر الناس لم يبالوا بهذه الفتاوى وأقبلوا على الحرمين طائعين فرحين مستبشرين، راغبين في المكوث في تلك العرَصات الطاهرة، والأماكن الشريفة، وكان الناس فيما مضى من القرون إذا اقتربوا من الحرمين ورأوا أعلامهما ومعالمهما كثر منهم البكاء واشتد النحيب، وصاروا كأنهم يسمعون من قلوبهم الوجيب، وما هذا إلا لشدة شوقهم وحنينهم، وعظمة الحرمين في قلوبهم وعقولهم، فلله كم حفظ الحرمان على الناس دينهم في أزمان كثرة الفتن، واحتلال الأجانب لديار الإسلام، وغربة الدين وقلة مناصريه، فكان الناس يأتون إلى الحرمين فيجددون فيه إيمانهم، ويغيرون من سيرهم وطرائقهم، ويتوبون من معاصيهم وذنوبهم.

- ومن الكتب كتاب «**العاطفة الإيمانية**»:

كتبته لما أراه أو أسمعه من جفاف كثير من قلوب الدعاة والصالحين، وجمود مآقيهم وشحها في سكب الدموع، وقد كثرت الشكاية من هذا لي ولغيري؛ ولمعالجة هذا الأمر، ولمعالجة ما أعرفه من قلبي ونفسي من يُبْس وجفاف، كتبت هذا الكتاب، ووضعت فيه من الأمثلة الجليلة لرجال كانوا أصحاب عواطفَ ومشاعرَ رائعة، واقترحت طرائق لتعميق هذه العاطفة في القلوب، وإشاعتها في النفوس، ومما كتبته في مقدمته:

«إن الصحوة المعاصرة صحوة مباركة إن شاء الله تعالى، قد آتت ثمارها: رجالاً عاملين مخلصين، باعوا آمالهم وأحلامهم ورغباتهم وشهواتهم في سبيل الله -تعالى- راضين مسرورين، ورجالاً آخرين يحاولون اللحاق بالأولين بين تعثر ونهوض لكنهم في خير وإلى خير، إن شاء الله تعالى.

وفي الصحوة المعاصرة أمراض تنهش جسدها قد تُحُدِّث فيها كثيراً وصنفت فيها مصنفات متعددة، والتُمس العلاج الشافي لها ، لكن مرضًا من الأمراض الفتاكة لم يُؤت حقه من الحديث -في ظني- ولم يصنف فيه إلا القليل اليسير ألا وهو مرض اليُبس العاطفي وجفاف المشاعر العاطفية الإيمانية.

ومرادي من العاطفة الإيمانية ما يحمل على جميل التأثر، وحسن التجاوب، وقوة الانطلاق، وعظم التأثير الإيماني، فمن جُبل على هذا فيا حُسن ما جبل عليه ، وليس المراد تلك العاطفة الهوجاء التي تُعمي وتُصم وتحمل صاحبها على التسرع وعدم التبصر في العواقب، وإلى ارتكاب ما يندم عليه بعد ذلك أشد الندم، وإنما قلت هذا لأن الناس قد شاع فيهم أنه إذا قيل : ذا رجل عاطفيّ أو تلك امرأة عاطفية فإن المراد بالعاطفة هنا هو التسرع الذي ذكرت، والهوج وعدم النظر في العواقب الذي إليه أشرت.

والعاطفة الدينية القوية قد حفظ الله -تعالى- بها الإسلام وأهله قرونًا طويلة؛ إذ بسببها يُعبد الله ويوحّد، وبها يُحافظ على الشعائر والعبادات، ولأجلها يجاهَد في سبيل الله -تعالى- ويقاتَل، وهي إن عظمت في النفوس حملتها على التضحية بالغالي والنفيس، وإن تضاءلت وصغرت فإنها تحمل النفوس على الشح والبخل وإيثار الحياة الدنيا والإخلاد إلى الأرض.

ولما كان هذا العصر قد ارتدى رداء القسوة والشدة الناجمين عن أسلوب الحياة المعاصرة التي تسير فيها الأمور على وتيرة واحدة من المادية المغرقة التي ليس فيها للعواطف النفسية والرقائق الإيمانية كبيرُ نصيب، لما كان العصر كذلك فقد تأثر غالب أهله بهذه السمة فقست قلوبهم، واضمحلت عواطفهم النفسية والإيمانية، وضعفت على إثر هَذا العبادات فأصبحت تؤدى بدون خشوع

ولا خضوع، وقَلّ التأثر والبكاء، وأصبح من النادر في مجتمعاتنا أن نشاهد رجلاً ذا عاطفة إيمانية قوية جياشة بكّاء رقيقًا.

ولما كان كل ذلك نذير سوء وعلامة شؤم حيث إنه يؤدي إلى البعد عن الله -تعالى- أردت أن أكتب بحثًا في هذه المسألة المهمة، بحيث يفصح عن أسبابها ويؤدي إلى تفهمها ومن ثَم معالجتها.

هذا وليُعلم أنه حدثني عدد من إخواني في هذه القضية وشكوا إليّ مرة بعد مرة منها، ولما كنت قد عاينت هذا من نفسي ومن غيري فإني أظن أن هذا البحث قد ينفعني وينفع كل من يطلع عليه، والله الموفق» اهـ.

هذا وقد فرغت منه سنة ١٤٢١/ ٢٠٠٠.

- كتاب **«أهمية ارتباط الشرعيين بمرجعياتهم»**:

هذا كتاب أردت منه أن أوضح الأهمية البالغة لوجود مرجعية للمتخرجين في الكليات الشرعية إلى أن يستووا على سوقهم، ويستطيعوا الانفراد في السير الواثق المطمئن في دروب هذه الحياة المليئة بالأشواك والمغريات.

- كتاب **«كيفية قراءة التاريخ وفهمه»**:

وهذا الكتاب هو فاتحة عدة كتب في علم إعداد المؤرخ وفهم التاريخ، بدأته بهذه الرسالة، وثنيت برسالة عنونتها **«إعداد المؤرخ الثقة»**، وثلثت -وأعوذ بالله من التثليث وأهله- برسالة سميتها **«التراجم وأثرها في السلوك الإنساني»**، وربعت برسالة سميتها **« تعريف موجز بمناهج أشهر كتب التاريخ»**.

ومما قلته في مقدمة كتاب **«كيفية قراءة التاريخ وفهمه»**:

«من المعلوم أن التاريخ :

- هو تراث الأمة وكنزها .

- وهو مقياس عظمتها في بابي الحضارة والثقافة .

- وهو ديوانها الذي تحتفظ فيه بذاكرتها .

- وهو مغترف العبر والعظات لأحداثها .

- وهو بيانٌ لسيرة عظمائها .

- وهو ماضيها الذي تستند إليه لحاضر أفضل ومستقبل أجلّ .

- وهو دراسة أحوال الماضين من الأمم والشعوب الأخرى .

- وهو وعاء الخبرة البشرية .

ولما كان التاريخ على هذا الوجه من الأهمية فقد تعلق به باحثون ودارسون، ودعاة وعاملون، ومشايخ ومفكرون، وأقبلوا يريدون الاستفادة مما فيه، واستخراج كنوزه ولآليه، وتقويم المجتمع اليوم بأحداث التاريخ: حاضره وماضيه، وحُقّ لهم ذلك؛ فللتاريخ بريق جذاب، وأخْذٌ بالقلوب والألباب، وهو الكنز المدفون، والـمَعْدن المصون.

- لكن قد عَسُر على طوائفَ من هؤلاء المهتمين الوقوف على قواعد علم التاريخ، وكيفية قراءته، وما هو الموثوق منه والمتروك، وما هو المقبول منه والمردود.

- ثم إن بعض هؤلاء أراد التخصص في هذا العلم، والوقوف على قواعده وخصائصه، ومعرفة كتبه ورجاله، والقضايا المثارة حوله، وهذا ما أسميه بعلم إعداد المؤرخ.

- هذا وقد خاطبني مَن لا أحصيهم كثرة، مواجهة ومراسلة ومهاتفة، يطلبون مني كتابة شيء في هذا الباب يكون مغنيًا لهم وشافيًا، ومحيطًا بما يريدون وكافيًا، ومُوقفًا لهم على دقائق هذا العلم الجليل ومرشداً لهم في سَبْر أغواره، فوعدتهم خيرًا لكني أعلم أني إن هجمت على ذلك فإني إنما أهجم على أمر عظيم، وإن صنعت ذلك فإنما أتكلف الحمل الثقيل، لكن لما كثر الإلحاح عليَّ، واشتدت المسألة عزمت على عمل شيء في هذا الباب لكنه مُجزاً إلى أجزاء تخرج تباعًا إن شاء الله تعالى، وإنما حملني على هذا الصنيع أمور منها:

١- إن إخراج شيء موجز للناس ميسور عليهم قراءته -على وجه متتابع (سلاسل)- سيكون أفضل من المطولات التي ستبقى مرجعًا لا يكاد يقرأه إلا قلة من الناس، خاصة في هذا العصر الذي قَلّ فيه الإقبال على المطولات، وسهل عليهم قراءة الرسائل الصغار والأجزاء الموجزة.

٢- ثم إن في هذا التتابع فرصة لهضم المادة التي أُخرجت وتشوقًا وانتظاراً للمادة التالية، وهذا أدعى للعناية والاهتمام.

٣- إن إخراج ما فُرغ منه إلى الناس خير من انتظار إعداد المادة كلها، فإن العمر قصير، ولا يدري المرء متى يحل الموت بساحته، وقد مات علماء كبار وتركوا كتبًا عظامًا ابتدأوها لكنهم لم يفرغوا منها، فكان ذلك النقص غصة في حلوق مَن بعدهم وحسرة وأسفًا وألماً، والأولى أن يخرج للناس ما اكتمل، ولا يُنتظر الفراغ من كل العمل، والله أعلم.

ولهذا سأبدأ بالأمر الذي يهم العامة، وهو كيف يُقرأ التاريخ ويُفهم،

و سأُخرج بعد ذلك -إن شاء الله- تباعًا رسائل مكملة لهذه الرسالة لعامة القراء، وأخرى لمن أراد التخصص في هذا الفن الجليل.

وسيكون كلامي في هذه السلسلة عن التاريخ الإسلامي فقط، أما تواريخ الأمم الأخرى فله حديث آخر؛ إذ له قواعد ومصادر ومراجع تقترب حينًا وتبتعد أخرى من تاريخ الأمة الإسلامية، والله أعلم».

هذا وقد فرغت من الكتاب سنة ١٤٣٣/ ٢٠١٢.

- كتاب «**إعداد المؤرخ الثقة**»:

وهو الكتاب الثاني في سلسلة علم إعداد المؤرخ وفهم التاريخ، ومما قلته في مقدمة الكتاب:

«قضية العناية ببعض الحاذقين والأذكياء ليصيروا مؤرخين هي قضية غاية في الأهمية؛ خاصة بعد أن صارت أقسام التاريخ في الجامعات لا يدخلها إلا الضعاف -في الأغلب- في التحصيل الدراسي العلمي، ومتوسطو القدرات الذهنية، ونشأ من هذا أن تخصص في التاريخ أشخاص غير مبدعين ولا منتجين، وكان من جراء ذلك أن تصدى لنشر التاريخ والكتابة فيه والحديث عنه عوضًا عن أولئك أشخاص لم يدرسوا في أقسام التاريخ في الجامعات - في الأغلب- إنما أحبوا التاريخ وعُنوا به، وهذا مشاهد في هذا العصر.

وهذا لا يعني أني أغمط حق مؤرخين كبار درسوا علم التاريخ في الجامعات، ونالوا فيه أعلى الشهادات، غير أني أتكلم على الأغلب ممن تصدى للتاريخ في زماننا هذا وتصدر فيه: إنما هو محب له، متوغل فيه، لكنه لم يدرسه دراسة جامعية نظامية.

وأرى - والله تعالى أعلم - أن إعداد مؤرخين ثقات يُعنون بتاريخ الأمة ويولونه الاهتمام الكافي هو أمر يصل إلى درجة الوجوب الكفائي؛ وذلك لأثر علم التاريخ البالغ على الأجيال، وأهميته في البنيان الإيماني والثقافي والحضاري للأمة:

«إن موضوع رسالة المؤرخ في المجتمع لقي اهتمامًا واضحًا في العديد من الأقطار الأوروبية مقابل الإهمال السائد عند المؤرخين والباحثين العرب لدراسة دور التاريخ في الحياة العامة في المجتمع العربي، فدور المؤرخ العربي في بناء الثقافة العربية الإسلامية ودعمها - مع وجود حالات فردية واستثنائية- لا يوصف بكونه إيجابيًا أو بالمستوى المطلوب. . . »[1].

والمؤرخ المسلم قد اجتمعت عليه عوامل أضعفت عمله، وقللت أثره في المجتمع، وهي عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية أحدثت قطيعة بين المؤرخ ومجتمعه «وجعلته يفر إلى نفسه وعزلته ويهاب المغامرة والمواجهة، وقد زادت هذه المتغيرات من الأعباء الحياتية والمهنية على المؤرخ سواء كان عضوًا تدريسيًا في الجامعة أو فردًا في المجتمع فأثقلت كاهله، وقيدت حركته، وأضعفت عطاءه، وبالتالي حالت بينه وبين أداء رسالته أو دوره في توجيه ليس فقط مجموعة من الأفراد في مؤسسة تعليمية معينة توجيهًا واعدًا منظمًا بل توجيه جيل بكامله وتعبئته لحياة يدرك فيها واجباته فلا يتهرب منها، ويعرف حقوقه فلا يتخلى عنها. . .

إن على المؤرخ أن يكتب في اتجاهين: الاتجاه العلميّ التخصصي من خلال بحوثه ومحاضراته في رحاب الجامعة، والاتجاه الثاني هو الثقافة التاريخية العامة الموجهة أصلاً لمثقفي الأمة عمومًا، وفي كلتا الحالتين فإن عليه أن يؤكد

(١) «قراءات ومراجعات نقدية»: ١٥٤.

على النظرة الشاملة ودور التاريخ في الحياة العامة والتي عن طريقها يحقق التاريخ رسالته في بناء الأمة»[1].

هذا وقد أخذت في تأليف سلسلة تعريفية بعلم التاريخ، بدأتها برسالة: «مقدمة في كيفية قراءة التاريخ»، ثم هذه هي الرسالة الثانية، وهي موجهة لمن يريد أن يتخصص في علم التاريخ ويتصدى لنشره بين الناس وإفادتهم به، فلا بد لمثل هذا أن يطلع على جملة من القواعد والضوابط أرجو أن أكون قد قربتها له في هذه الرسالة، وهي مفيدة - إن شاء الله تعالى- لمن لم يدرس التاريخ دراسة منهجية، ولم يدرس العلوم الشرعية، ففي الرسالة ما يلزمه معرفته منها قبل الخوض في هذا العلم المهم.

وقد سرت في هذه الرسالة على ما التزمته في أكثر كتبي ورسائلي من إيجاز؛ وذلك لعلمي بقلة صبر أكثر أهل عصري على قراءة المطولات، وعزوفهم عن مطالعة الكتب الكبار المبسوطات، وهذا بسبب كثرة الأعمال وتوالي الهموم؛ ولتدني الهمم وقلة الثبات، لكن حسبي أني أتيت برؤوس المسائل مع شيء من التفصيل اللائق بها والمناسب لما أريده منها، وأحلت القارئ المريد للتفصيل والتطويل بعد ذلك على مصادرَ ومراجعَ تمكنه من الوقوف على ما يريد من الدقائق، على أن هذه المادةَ - أي علم إعداد المؤرخين-لم أجد مَن أفردها بالبحث، ولم أقف على من خصها بالعناية من القدماء والمحدثين، فدونكم معاشر القراء هذه الرسالة، وحسبكم هذه المقالة لمن أراد الولوج في مضائق هذا العلم فأظن - والله تعالى أعلم- أنها كافية في بابها لمن أراد الخوض، ورعاية هذا الروض».

هذا وقد فرغت من الكتاب سنة ١٤٣٣/ ٢٠١٢.

---

(١) «قراءات ومراجعات نقدية»: ١٥٤.

- كتاب «**التراجم وأثرها في السلوك الإنساني**»:

في هذا الكتاب أردت بيان أثر التراجم العجيب في سلوك المرء تهذيبًا وترقيةً إلى المعالي، وأطلت النفَس فيه شيئًا ما لأهمية الموضوع، ومما قلته في المقدمة:

« قد بدأت صلتي بالتراجم منذ ثلاثين سنة تقريبًا، وذلك عندما ابتدأت القراءة في «سير أعلام النبلاء» للحافظ الذهبي -رحمه الله تعالى- ولا أكتم القراء الكرام أني قبل صلتي بذلك الكتاب الجليل لم أكن مطلعًا إلا على تراجمَ قليلة جدًا تكاد تذكر، ولا أعرف من أعلام الأمة إلا بعض مشهوريها، وأعرف من تراجمهم نتفًا قليلة، وكنت آنذاك قد درست عقيدة السلف وشيئًا من فقههم، لكني كَنت أجهل تمامًا مَن هم أولئك السلف، فلما اقتنيت الكتاب -وكان ينزل إلى الأسواق تباعًا، وكانت تلك هي العادة في النشر آنذاك- أخذت في قراءته، فلا يعلم إلا الله -تعالى- ما أصابني من الدهشة، وما اعتراني من الانبهار الشديد بأولئك العظماء، وندمت ندامة عظيمة أني لم أقرأ تراجم أولئك العظماء من قبل، وجعلت أقول لنفسي: ما هؤلاء الناس؟ وهل يمكن أن يكون هناك بشر على تلك الشاكلة من الجلال والعظمة والقدرة الباهرة على مخالفة هوى النفس، والاستعلاء على شهوات الدنيا الآسرة، والرضى بالقليل، والإخلاص منقطع النظير، والشجاعة الفائقة، والصراحة والصدق بلا مواربة ولا مداهنة، والصدع بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإقبال على الله -تعالى- والخلوص له من الشرك والتخليط والرياء، وحسن معاملة الناس، وحسن الأخلاق، وبإيجاز كنت كأنما أطالع سيرًا للملائكة وليست للبشر، والذي أثّر فيّ تأثيرًا ليس له نظير، ومازلت أذكره حتى الآن بل لا أظن أني أنساه ما بقيت الدنيا هو قراءة التراجم التي لم أعرفها

من قبل بل لم أسمع بأسماء أصحابها، وكانت هي جُلَّ تراجم الكتاب، وذلك أن المرء إن سمع بخبر فضيلة ما وكان قد سمعه من قبل فإنه لا يعود يؤثر فيه إلا إن طرقه الخبر طرقًا يختلف عن طرقه إياه يوم سمعه أول مرة؛ وذلك يكون باختلاف طريقة سرد الخبر واختلاف أسلوب المتكلم إلى آخر وجوه الاختلاف، أما تلك الأخبار التي قرأتها في «سير أعلام النبلاء» فقد كانت كلها -تقريبًا- جديدة تطرق قلبي وعقلي لأول مرة، فلا تسأل أخي القارئ عن أثر تلك الأخبار في نفسي، خاصة أن كتاب السير ضخم كثير الأخبار والتفاصيل والدقائق فصار كل خبر يرقق الآخر، وكل خبر يترك فيّ أثرًا يعمقه الآخر، وتتوالى الأخبار والأحداث والقصص لتأخذ مني كل مأخذ، وتحدث لي تغييرًا أحسبه كان تغييرًا جذريًا في حياتي: أخلاقي وسلوكي وقبل كل ذلك صلتي مع الله -تعالى- وذلك أني كنت أقرأ وقلبي يسبق عقلي، وعواطفي ومشاعري تسبق فكري في الخبر وإعمالي ذهني فيه، وكنت مقبلاً تمام الإقبال، راغبًا كل الرغبة، ملقيًا كل ما يشغلني عن الكتاب خلف ظهري فحصلت لي استفادة لا أظن أنها تعود أبدًا بقراءة أي كتاب آخر، على أني قرأت بضعة كتب عقب ذلك بلغت في الجلالة حدًا بعيدًا لكن يبقى الأمر كما قال الشاعر:

نَقِّل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول

وكم من منزل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبدًا لأول منزل

وكما قال الشاعر:

عرفت هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبًا خاليًا فتمكنا» اهـ

هذا وقد فرغت من الكتاب سنة ١٤٣٣/ ٢٠١٢.

- كتاب «**علماء آسيا الوسطى -تركستان- بين الماضي والحاضر**»:

ذكرت في هذا الكتاب حال بلاد التركستان وعلمائها في الزمن الغابر والحاضر، والتركستان قسمان شرقي وغربي، أما القسم الشرقي فموطن الأتراك الإيجور، وقد احتلته الصين منذ زمن طويل، ثم استقل، ثم احتُل، ثم استقل، ثم احتل نهائيًا سنة ١٣٦٨ هـ/ ١٩٤٩م.

وأما تركستان الغربية فهي خمس جمهوريات: قزقستان وأوزبكستان وقيرغيزستان وتركمانستان وطاجيكستان، وقد احتلها الروس القياصرة منذ مائة وخمسين عامًا تقريبًا، ثم البلاشفة الشيوعيون إلى أن استقلت في سنة ١٤١١ هـ/ ١٩٩١م ولله الحمد والمنة.

وقد سام الروس والصينيون إخواننا التركستانيين سوء العذاب، ومنعوهم من كثير من حقوقهم، وفرضوا عليهم أمورًا من الكفر والباطل والهوان ما يشيب لها الولدان، وبقي إخواننا من التركستانيين الشرقيين الإيجور إلى يوم الناس هذا تحت الحكم الصيني البغيض لا بواكي لهم ولا ينصرهم إلا الله -تعالى- وإنا لله وإنا إليه راجعون، وقد بينت في كتابي هذا جزءًا يسيرًا من معاناة التركستانيين وما لحقهم من مظالم، ثم بينت أهم علمائهم في الماضي والحاضر، وقد كانوا في الماضي جملة وافرة، ثم تضاءل عددهم وقَلّ تأثيرهم في العصر الحديث لما تعرضوا له من قمع شديد وتخويف هائل، لكن الوضع اليوم أحسن وأفضل بحمد الله -تعالى- ومنّه.

هذا وقد فرغت من الكتاب سنة ١٤٢٨/ ٢٠٠٧.

- ومن الكتب كتاب «**الأمن النفسي**» كتبته لما امتلأت النفوس بالقلق أثناء الغزو الأمريكي الهمجي للعراق، وعصفت بالناس الظنون، وامتلأت القلوب

بالخوف من اكتساح الصليبيين للبلاد المجاورة للعراق، فكتبت هذا الكتاب لأهدئ من روع الناس؛ ولأطمئن قلوبهم.

هذا وقد صنفت الكتاب سنة ١٤٢٣/ ٢٠٠٣.

- ومن الكتب كتاب «**أثر الدعاء في دفع المحذور وكشف البلاء**» ألفته للغرض نفسه -تقريبًا- الذي ذكرته في الكتاب السابق.

هذا وقد فرغت منه سنة ١٤١٨/ ١٩٩٧.

- رسالة «**أختي المضيفة**»:

كتبت للمضيفات ناصحًا ومحذرًا رسالة موجزة سميتها: «**أختي المضيفة**» بينت لها فيها أن عملها حرام لما فيه من السفر الدائم بلا محرم، ولما فيه من الخطر الأكيد على سلوكها وخلقها- وهذا قد خبرته في كثير منهن على مدار أكثر من ثلث قرن من العمل الجويّ- وأنها لا بد لها أن تبحث عن عمل آخر، إن كانت في حاجة للعمل، ثم نصحت مَن تُصر على العمل بنصائح أرى أنها تحفظها وتحميها -إن شاء الله تعالى- والله سبحانه هو المستعان وعليه التكلان.

هذا وقد غضب مني المدير الأعلى للمضيفات وذهب يشكوني لمكتب مدير عام الخطوط السعودية ولا أدري لماذا، غفر الله لي وله.

وقد غضبت من هذه الرسالة بعض المضيفات، واتصلن بي عاتبات فبينت لهن ما أرى أنه الحق، ونصحتهن ببعض النصائح.

- رسالة: «**وصايا ونصائح للملاحين الجويين**»:

هذه الرسالة وجهتها لمن يعمل في مجال الطيران من الطيارين والمضيفين، الذين اعتادوا مفارقة بلادهم والسكنى في بلاد الله الواسعة أغلب مدد حياتهم، فبينت لهم كيف يستفيدون من وقتهم، وكيف يبتعدون عن حبائل الشيطان،

وذكرت لهم بعض الأحكام الفقهية في الصلاة والصيام إلى آخر ما ذكرته لهم في تلك الرسالة الموجزة[1].

ومن الكتب التي كتب الله -تعالى- لها شيئًا من القبول والانتشار كتاب «**العبادات القلبية**»، وقد كتبته لمعالجة أمراض القلوب من الرياء والحسد والحقد إلخ . . .

هذا وقد فرغت منه سنة ١٤١٩/ ١٩٩٨ .

- ومن الكتب الطريفة والجديدة في مبناها ومعناها -في تقديري- كتاب «**مقياس العمل المؤثر**»، وهو كتاب لا أظن أني سبقت إلى موضوعه -والله تعالى أعلم- وهو الذي حاولت فيه قياس العمل وأثره، ومعرفة هل بلغ درجة التأثير الفاعل أو لا، وقد أودعت فيه بعض القواعد الحاكمة على الأعمال الدعوية، ومدى جودتها وقوتها وتأثيرها، وكذلك حاولت فيه قياس الأمور المعنوية مثل الهمة والثبات، ومما قلته في مقدمة الكتاب:

فهذا كتاب هاد إلى مقدار العمل الذي ينبغي أن يقدمه الشخص العامل حتى يكون من العاملين المؤثرين، والبانين المنتجين، وهذه مسألة مهمة في دنيانا اليوم؛ وذلك أن كثيراً من الإخوة العاملين والأخوات العاملات يظنون أنهم يعملون ويجتهدون لكنهم إنما يعملون خارج منطقة العمل المؤثر المنتج، وتمضي بهم السنوات الطوال وهم ما زالوا يراوحون مكانهم أو يتقدمون تقدمًا غير مؤثر، وهذا يعود إلى جملة عواملَ سلوكية وحركية ونفسية[2] تُنقص عمل هؤلاء وتؤثر في مسيرتهم وعطائهم وإنتاجهم، وتبعدهم عن المنطقة المؤثرة المغيِّرة النافعة.

---

(١) قد أتيت على الرسالتين الموجهتين للمضيفات والملاحين والأحوال التي ألفتا فيهما في كتاب «مذكرات طيار».

(٢) ليست هذه الرسالة لبيان هذه العوامل، فقد أفردت لها مكانًا آخر في كتب مثل: «عجز الثقات» و«وأثر المرء في دنياه» و «الهمة طريق إلى القمة»، و«الثبات».

والقضية خطيرة؛ إذ العمر يمضي سريعًا، والتحديات القائمة في وجه الدعاة والصالحين كبيرة وكثيرة ومتنوعة، ولا بد للأخ وللأخت ألا يرضيا ببذل القليل من الأوقات والأعمال والأموال؛ لأن هذا يفضي بهم إلى نتائجَ محدودة وقاصرة عن الغاية التي يتطلعون إليها، والمعالي التي يطمحون لإحرازها، وهذا هو السبب الرئيس البارز في عدم وصول الأكثرية من الدعاة والصالحين إلى أهدافهم التي وضعوها، وأنهم يراوحون مكانهم في منطقة أسميها «المنطقة الرمادية» وهي ليست بمنطقة عدم العمل السوداء، ولا هي في منطقة العمل المؤثر البيضاء، وأخشى أن يكون هذا من استدراج الشيطان لهم وخداعه إياهم حتى يُشعرهم أنهم عاملون ومنتجون ومؤثرون وهم في الحقيقة ليسوا كذلك، وإن كانوا على خير وصلاح لا جدال فيه لكن ليست مرتبتهم هذه هي المرتبة اللائقة بهم، ولا المنزلة التي ينبغي أن يُنزلوها أنفسهم.

ولي الآن في الدعوة إلى الله تعالى نيفٌ وثلاثون سنة، لقيت فيها كثيراً من الدعاة والصالحين وطلبة العلم والمشايخ، وعرفت منهم ومن أعمالهم ونشاطهم قدراً كبيراً، وسبرت غور طرائق تفكيرهم، ووسائل عملهم، وكنت من كثير منهم قريبًا، وأرى -بعد كل هذا الذي ذكرته- أن هنالك تفاوتًا في عمل هؤلاء يتلخص في الآتي:

١- بعض هؤلاء لا يكاد يعمل شيئًا ذا بال، وهم قلة -ولله الحمد والمنة- لا تكاد تصل إلى العشر.

٢- وكثير من هؤلاء يظن أنه يعمل لخدمة الإسلام ويقدم ويبذل، لكني رأيت أن ما يعمله وما يقدمه هو نَزْر يسير بالمقارنة بقدراته وما يستطيع أن يعمله ويقدمه، وهم عدد كبير أقدره بقرابة نصف مَن قابلته وعرفته.

٣- وكثير -أيضًا- من هؤلاء يعمل وينشط لكنه ليس متميزًا في عمله، وليس هذا العمل قويًا إلى الحد الذي يؤثر في الأوضاع وينتقل بها إلى الأوضاع المرجوة، وهم عدد كبير أقدره بالثلث تقريبًا أو ٣٠٪.

٤- وبعض هؤلاء الذين عرفتهم ولقيتهم كانوا متميزين حقًا ونشطين، ومؤثرين، وهم -في تقديري- لا يتجاوزون العشر.

هؤلاء هم مَن قابلت وعرفت -وهم عدد كبير كما أسلفت- وهذه تقديراتي التي هي قائمة على الظن والتخمين والاجتهاد في ذلك، وليس هنالك قطع في هذا الباب، والله أعلم.

وهنا يثور أمر مشكل عندي فكرت فيه طويلاً، ونظرت فيه، وقلبت فيه الأمور سنين ذوات عدد، ألا وهو: كيف يُعَدُّ الشخص عاملاً؟ وكم من ساعات لا بد أن يبذلَها حتى يُعد عمله مقبولاً أو جيدًا أو متميزًا؟

بمعنى آخر وبلغة العصر: إذا أردنا أن نُقَوِّم عمل شخص ما بالنسب فمتى يحوز الشخص على ٥٠٪ أو ٦٠٪ أو ٧٠٪ أو ٨٠٪ أو ٩٠٪ أو أكثر أو أقل؟

وكيف تقاس الأمور المعنوية؟ وذلك لأننا نستطيع قياس الأمور المادية بمقاييسَ حديثة معروفة لكني لا أعلم أن الهمة قد قيست، ولا العواطف قد قيست، ولا الثبات على المبادئ قد قيس، إلى آخر ما لم يُقَسْ من المعنويات.

بل أتجاوز ذلك لأقول:

- هل قاس أحد القدر المطلوب من القراءة اليومية أو الأسبوعية ليُحَصِّل المرء الثقافة المطلوبة في شقيها الإسلامي والإنساني.

- وهل قاس أحد عدد المواعيد التي يُخلفها المرء ليُعَد متهاونًا أو منضبطًا في مواعيده؟

- وهل قاس أحد قدر الأثر الذي يتركه الشخص من بعده من حيث الجودة وعدمها، ومن حيث الكفاية وعدمها؟
- وهل قاس أحد قدر التهاون في الالتزام ليُعَدَّ الشخص به ضعيفًا في التزامه أو متوسطًا؟!
- وهل قاس أحد قدر العبادات التطوعية كالصلاة والصوم التي يعد بها صاحبها عابدًا ؟

وهناك عشرات الأمور غير ذلك تفتقر إلى المقياس الدقيق، وإنما ضربت بعض الأمثلة لأدلل بها على صعوبة الموضوع وتعقده لا على توقف أصل مشروعيته على قياس.

وليس هذا عند المسلمين فقط بل إن الغرب -أيضًا- ليس عنده مثل هذه المقاييس، ربما لقلة حاجته إليها.

ومكمن الصعوبة في هذا العمل هو التالي:

١- أني لم أر مَن حاول ما حاولت في وضع النسب المئوية للأعمال المعنوية، أو جرى على هذه الطريقة من قبل، وهذا هو ما يعاني منه كل مَن طرق أمرًا أو أراد شيئًا ليس للناس به عهد من قبل.

٢- أن هذا من الأمور المعنوية غير المحسوسة ولا الملموسة، وما كان شأنه كذلك فقياسه من الصعوبة بمكان، أو يكون أقرب إلى التعذر منه إلى الإمكان.

٣- وأن هذه المسألة حتى لو قيست فستظل مثار جدل كبير؛ لأن المقياس في الأمور المعنوية لا يمكن أن يكون إلا أمرًا اجتهاديًا وشأنًا تختلف فيه الأنظار،

وتفترق فيه الأقوال، وتضطرب فيه الأفكار، فمن راضٍ مُثْنٍ قابل، إلى رافض أو مشكك أو حائر، وحسبك بهذا عنوانًا للَصعوبةً، ومثارًا لنقاش وجدال طويل.

٤- وأن هذه المسألة من الأمور الحاكمة على الناس، ففريق سعيد عامل، وآخر بعيد ناظر، وهذا مما قد يؤثر إيجابًا أو ربما سلبًا على عدد كبير من الناس، وفي هذا ما فيه.

- لكني رأيت أنه لا بد مما ليس منه بد، وأننا في هذا العصر المتشابك المعقد الذي تحكمنا فيه المقاييس والمعايير في شتى جوانب حياتنا لا ينبغي أن نترك هذه الموازين والمقاييس والمعايير في شأن هو العمدة في حياتنا الدنيوية والأخروية، ألا وهو العمل لدين الله - تعالى - والبذل والتضحية في سبيله.

الهدف من هذا العمل:

قد حاولت في هذا الكتاب أن أعمل شيئًا في مسألة تحديد مقاييسَ دقيقة للأمور المعنوية التي ذكرتها وما شابهها، وأردت بهذا تحقيق جملة من الأمور منها:

١- وضع مقاييسَ أقرب إلى الدقة والإتقان، يُقاس بها ما ذكرته آنفًا من الأمور المعنوية كالهمة والثبات، وقياس الأمور التعبدية، وقياس ما شابه ذلك قياسًا يعين على التقويم وضبط المسيرة الفردية لكل شخص على حدة.

إعانة العاملين وتشجيعهم، ذلك أنه وجد مقياس معقول مقبول لَتحاكم الناس إليه، ولَعرفوا مقدار بعدهم أو قربهم من منطقة العمل المؤثر، أو وجودهم في قلبها أو حواشيها، وهذا مما يشجع البعيد على الاقتراب،

والقريب على الدخول، ويُبقي العاملين في منطقة العمل المؤثر، ويبعد عنهم شبح الفتور والضعف والتشتت، فمن عرف مثلاً أنه قد حاز ٥٠٪ من مجموع صفات وأعمال، وأنه قد بقي له ٢٠٪ ليلج منطقة العمل المؤثر[١] فإن هذا سيكون دافعًا له للتقدم والانطلاق.

٢- إعانة الجمعيات والهيئات الخيرية والشبابية، وإعانة الجماعات، والمؤسسات الدعوية - على تقويم الأفراد الموظفين والمتطوعين، وقياس أعمالهم وأثرها، وأنشطتهم وقدرها، وهذا أمر جليل أرى أن هذه الهيئات والمؤسسات والجماعات في أمسِّ الحاجة إليه لوضع خططها الاستراتيجية، ومعرفة قدر نشاط أفرادها وتجاوبهم مع خططها وأعمالها، إلى آخر ما هنالك.

٣- وضع اللبنة الأولى في صرح علم جديد يمكن أن نقدمه للعالم على أنه علم إسلامي مبتكر، ويمكن إخضاعه لتقسيم حديث يجعل منه مادة تدريبية ثرية يستفيد منها الملايين من الأفراد والكثير جدًا من المؤسسات والهيئات، وسأكون سعيدًا جدًا إذا تحقق هذا إن شاء الله تعالى؛ إذ إن جُلَّ أوكل الدورات التطويرية التي يُدَرَّب الناسُ بها اليوم هي مستقاة من نظريات غربية قائمة على التصور الغربي للحياة، ولا مانع من الاستفادة من علومهم لكن أين هي علومنا ونحن قد قدنا العالم حوالي ألف سنة؟ أفليس في هذه الألف سنة من القيادة والريادة ما يستحق أن نعرضه على الناس؟

ألا يوجد عندنا في تراثنا الثري الممتد في عمق الزمان ما يمكن عرضه للناس على هيئة دورات تطويرية؟ بلى والله هنالك الكثير لكنه يفتقر إلى

(١) ستأتي تفصيلات هذه النسب لاحقًا إن شاء الله تعالى.

الدأب والهمة من الباحثين والمنقبين، ومن ثَمّ هو محتاج إلى صقل وتهذيب حتى يمكن عرضه على الناس على هيئة علم منضبط له قواعده وتقسيماته ليمكن بعد هذا كله تدريب آلاف من الأشخاص على اكتسابه والاستفادة منه.

ومن هذا التراث الإسلاميّ الثري كتابًا وسنة وفهوم العلماء - استللت قواعد بحثي هذا -كما سأبين بعد إن شاء الله تعالى- وغرضي تحقيق جملة من الأمور منها أن يساعد هذا البحث في وضع الأسس لهذا العلم الذي أحسبه سيكون جديداً كل الجدة في هذا العصر، بإذن الله تعالى.

٤- ثمرة هذه المقاييس والمعايير هي تحديد منطقة العمل المؤثر، وحدود العمل المنتج:

ويقصد بها المنطقة التي ينتج عنها تأثير عظيم وواسع، وبقدر الاقتراب من هذه المنطقة - والابتعاد عنها- يكون قدر التأثير.

- وينبغي الحرص على الوجود والكينونة في هذه المنطقة، والقضية جد وليست لعبًا؛ فإما الالتصاق بهذه المنطقة والبقاء فيها وإما الضياع خارجها.

- ويلاحظ أن المنطقة واسعة لتضم القدرات المختلفة، لكن لها قلب فالوجود في القلب يعني التألق المطلق والعمل المستمر المثمر، والوجود في الأطراف يعني الحد الأدنى وبينهما يتفاوت التأثير بتفاوت القدرات، وكل ذلك مقبول، إن شاء الله تعالى لكن من غير المقبول أبدًا أن يخرج الإنسان من هذه المنطقة؛ لأن معنى هذا أن يتضاءل نشاطه وعمله الدعوي ليقترب من نقطة اللاتأثير أو التأثير الضعيف غير المقبول.

حدود منطقة العمل المؤثر:

فليعلم قارئ رسالتي هذه أني أريد بمنطقة العمل المؤثر المنطقةَ التي تعود على الكائن فيها بأحسن العوايد، وترتقي بعمله إلى درجات عُليا، وللمنطقة قلب وأطراف، فمن حاز على ٩٠٪ فما فوق - مما سأورده في هذه الرسالة، إن شاء الله تعالى وأمثاله مما لم أورده لكن يُقاس على ما أوردته- فهو في قلب هذه المنطقة فهنيئًا له.

وأما من حاز على الـ٥٠٪ فهو في أطرافها.

وما بين الـ٥٠٪ والـ٩٠٪ تتفاوت الأعمال بتفاوت الهمم.

أما من حاز أقل من الـ٥٠٪ فهو بحاجة إلى مراجعة جادة ليلج منطقة العمل المؤثر.

ملحظ مهم:

قد حاولت أن أجد مساعدة من بعض القائمين على الدورات التدريبية في مجال التنمية البشرية والارتقاء بالذات، فمن قائل لي: إننا لا نعرف أن الأمور المعنوية قد وُضع لها مقياس، وآخر أتاني بشيء لم أرتضه ورأيت أنه لا يفي بعظم الموضوع وأهميته، لكن ذلك أوصلني إلى اعتقاد أن قياس الأمور المعنوية إنما هو أرض بكر أُنُف لم تُرْعَ بعد، وأن الموضوع بحاجة إلى تكاتف جهود ودراسات تفوق طاقة واضع هذه الرسالة؛ كي يخرج على وجه مرضٍ، ويُنظر إليه على أنه عمل يمكن إشاعته في الناس وإقناعهم به، لكن حسبي منَ العمل أني ابتدأته، وطرقت الباب فانفتح لي جزء منه، وما زال بحاجة إلى طرق كثير، وعمل متواصل.

عملي في هذا البحث:

١- جمع النصوص من كتاب الله - تعالى - ومن سنة رسول الله ﷺ وسيرته الطاهرة التي هي حجر الزاوية في هذا البحث، والتي فيها تنصيص أو إشارة إلى أرقام أو نسب تساعد في وضع الملامح الأساسية لهذا البحث، وذلك كقول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- لما أراد أن يوصي: «**الثلث والثلث كثير**»، وفهم بعض الفقهاء أن الوصية بالربع خير من الوصية بالثلث، فمثل هذا الحديث وذلك الفهم مساعد على وضع بعض المقاييس في باب الصدقات والهبات والتطوعات، كما سيأتي تفصيله، إن شاء الله تعالى.

وكقول النبي ﷺ :«**للعامل منهم أجر خمسين منكم**».

وكقول النبي ﷺ: «**إنكم في زمان من ترك منكم عشر ما أُمر به هلك، ثم يأتي زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا**».

وكل هذا سيأتي تفصيله في مكانه وتخريج أحاديثه، إن شاء الله تعالى.

٢- الاستفادة من كلام أئمة الإسلام في شرح بعض الآيات والأحاديث؛ فقد جاء بعضهم بإشارات نافعة في موضوعي هذا.

٣- الاجتهاد في استخراج قواعد هذا البحث من تلك النصوص والأخبار، ومن غيرها مما استخرجته من قواعد العمل الدعوي والتربوي.

وفي النهاية أقول:

حسبي أن وضعت شيئًا أُنهي به حيرتي الطويلة - التي قاربت السنوات الثلاث - في كيفية قياس العمل الذي يقوم به الشخص مما لم يقسه أحد من قبل، في أمور هي غاية في الأهمية في ظني وتقديري، إن شاء الله تعالى.

فإن أصبت فمن الله تعالى، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، والله -تعالى- هو المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

والله - تعالى - أعلم وأعظم وأجلّ وأحكم، وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

هذا وقد فرغت من الكتاب سنة ١٤٣٣/ ٢٠١٢.

تلك كانت بعض الكتب التي صنفتها، وأوردت مقدمات لبعضها ليتضح للقراء أن الكتابة كانت عن خبرة ومعاناة، وليست نظريات مرسلة، والله المستعان.

المعلم السابع: سلوك المنهج العلمي:

قد حرصت بفضل الله -تعالى- على سلوك المنهج العلمي في الكثرة الكاثرة مما كتبته، فلم يشذ عن ذلك إلا المقالات المجموعة - وهذا من طبيعة المقالات- وكتاب «**عظماء منسيون**» - فيما أعلم، والله أعلم- ولذلك سبب سأذكره قريبًا، إن شاء الله تعالى، أما سائر ما كتبته فقد حرصت فيه على توثيق المادة، وذكر مصدر ومرجع كل معلومة - غالبًا- وتخريج الأحاديث وتحقيقها، وترجمة الأعلام، غالبًا إلا في القليل مما كتبته، ووضع الفهارس، والابتعاد عن الغموض في الأفكار والأساليب النافرة الخشنة أو الضعيفة المفككة، وسلوك سبيل الجزالة والرصانة في الأساليب ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

تلك كانت بعض معالم فيما كتبته من كتب ورسائل دعوية، على وجه الخصوص، أما سائر ما كتبته من كتب فإنه يندرج تحت بعض تلك المعالم.

كتاب ضاع!!:

هناك كتاب اجتهدت في تصنيفه وجمع مادته، لكنه ضاع بسبب إهمال عجيب، وهذا الكتاب سميته: «الثانوية والمستقبل» صنعته لطلاب الثانويات موجهًا لهم من النواحي الثلاث: الشرعية والتربوية والعلمية، وبينت لهم أنهم في مفترق طرق، وأن المرحلة التي هم فيها الآن هي أهم مرحلة في حياتهم إلى آخر التفصيل الذي فصلته في ذلك الكتاب، وقد أرسلته إلى وكيل وزارة التربية والتعليم لينظر فيه ويقرر طبعه على نفقة الوزارة وتوزيعه لطلابها، وللأسف الشديد فاتني أن أصور منه نسخة لي فأرسلت الأصل الذي لا ثاني له، وبعد مدة تغيرت الوزارة، فلما سألت عن الكتاب قالوا لي بأنهم لا يعرفون أين هو، فتألمت جدًا، وحاولت مع أشخاص في الوزارة وخارجها وجعلت مكافأة لعامل من عمال الوزارة ليبحث لي عنه، فباءت كل المحاولات بالإخفاق والفشل وإنا لله وإنا إليه راجعون، ومما زاد من ألمي أني جمعت مادته بعد زيارات عديدة للمدارس الثانوية وخلطة بالطلاب واستقاء لبعض أجزاء من المادة من أفواههم وآمالهم وآلامهم وأمانيهم، ولم أعد الآن أذكر من ذلك شيئًا كثيرًا، وأسأل الله -تعالى- أن يوقفني عليه أو يعوضني عنه خير العوَض؛ والكتب للمشايخ هي كالأولاد لوالديهم، فكل كتاب لي هو قطعةَ مني، والحمد لله على كل حال.

•••

• المبحث الثالث:

المعالم التي التزمت بها في الكتب التي اختصرتها وهذبتها

أما المعالم فيما اختصرته وهذبته فهي كالتالي، إضافة إلى بعض المعالم في التأليف التي أوردتها آنفًا:

المعلم الأول: إبقاء ما فيه فائدة لأكثر الناس وحذف الباقي:

من المهم في اختصار الكتب المطولات أن يُستخرج منها أنفس ما فيها، وأعني بالنفاسة ما كان نفيسًا مهمًا لأكثر الناس؛ إذ إن جل ما في الكتب التي اختصرتها وهذبتها نفيس؛ ولهذا كان ما أخرجته للناس من هذه الكتب لا يتعدى عشرين بالمائة من أصل الكتاب، أما الباقي فهو إما مكرر في كتاب اختصرته من قبل، أو أنه لا يحسن إيراده، لأسباب شرعية وتربوية وأخلاقية، أو أن فائدته مقصورة على قليل جدًا من الناس، أو أنه من الطول والإملال إلى درجة يناقض معها سبب الاختصار، كما سأوضح كل ذلك بعض الإيضاح قريبًا إن شاء الله تعالى.

هذا وقد جادل بعض الناس من المشايخ والمثقفين والمفكرين في أهمية وجدوى المختصرات والمهذبات وذهب بعضهم إلى أنها تشوه أصل الكتاب، وتُذهب بهاءه، وأنا أخالفهم في هذا لأسباب منها:

١ - قد كثر في سلفنا اختصار الكتب المطولة، والأمثلة على ذلك كثيرة جدًا، ورأوا أنها تقرب ما في الكتاب للقراء، أفإن صنعوا ذلك من مئات السنين مراعاة لحال الناس وتقريبًا لما في الكتاب الطويل أفنضرب صفحًا نحن عن هذا الصنيع في هذا العصر والحاجة أشد، والناس أضعف قدرة على القراءة المطولة، وأكثر مللاً، وأبعد فهمًا، وأقل علمًا؟!

٢- أصل الكتاب الذي أختصره وأهذبه موجود في المكتبات منتشر عند كثير من الناس لا يضره ما أقوم به من اختصار وتهذيب وإذهاب لبعض ما فيه.

٣- الفوائد التي استفادها الناس مما اختصرته وهذبته يقوي فائدة هذا العمل، ويرجح المُضيَّ فيه، ويضعف الاعتراضات عليه.

وهذا وإني لأرجو من طلبة العلم القادرين على الاختصار والتهذيب أن يعمدوا لأهم كتب التراث الطويلة فيُعملوا فيها أقلامهم انتقاء لفرائدها، واختصارًا لجملها، وتهذيبًا لأخبارها فإن هذا هو العمل الذي ينبغي أن يكون في هذا العصر، وهو الذي سيقرب فوائد كتب السلف والخلف لعامة الناس.

ولقد وجدت من الدرر في تلك الكتب التي اختصرتها وهذبتها والفرائد شيئاً كثيرًا رائعًا جليلاً، وأرجو أن أكون قد قربته إلى الناس على وجه حسن إن شاء الله تعالى.

المعلم الثاني: فهرست الفوائد:

قد حرصت فيما اختصرته من الكتب المطولات على وضع فهرسة للفوائد آخر كل كتاب؛ وذلك ليقيني أن درر كل كتاب لا تظهر إلا بفهرسة شاملة دقيقة لفوائده، وقد رأيت ذلك عقب إخراجي لكتاب «نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء» مفهرسًا لفوائده؛ إذ أُخبرت من كثير من الناس بفوائد هذه الفهرسة، بل إن أكثر من شخص ألف كتابًا استقى مادته من هذه الفهرسة.

وهذه الفهرسة تتعبني جدًا، بل أستطيع القول إنها تكلفني جهدًا وبذلاً للوقت أكثر من اختصار الكتاب نفسه لكن قد وطنت نفسي على احتمال هذا الأمر في سبيل إيصال صفوة ما في الكتاب وأجلّ ما فيه إلى القراء.

هذا وقد عمد الأخ في الله -تعالى- فهد المهدلي إلى وضع نصوص مراجع الفهارس لكتاب: «نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء»، فخرج بذلك كتابًا جديدًا إلى القراء، ومثال ذلك قولي في الفهرسة: صور على الجهاد: [٨٢١] أي أني أريد الفقرة رقم ٨٢١ فإذا رجع إليها القارئ وجد ما أريد، لكن الأخ وضع ذلك الخبر تحت رقم الفقرة فسهّل على القارئ، وأخرج كتابًا جديدًا بعنوان «الفوائد الغراء من نزهة الفضلاء».

وكذلك صنع الشيء نفسه في الكتاب الكبير: «المختار المصون من أعلام القرون» فجزاه الله -تعالى- خيراً.

المعلم الثالث: انتقاء أهم ما في كتب التراث بأولوية الفائدة وليس الشهرة- وان اجتمع الأمران فحسن؛ ولذلك عمدت إلى كتب مشهورة مهمة مفيدة فاختصرتها، وعمدت إلى كتب ليست مشهورة لكنها مفيدة فاختصرتها أيضًا.

- **الكتب المهذبة والمختصرة:**

وأما ما هذبته من الكتب واختصرته فهو التالي:

قد عُنيت - بفضل الله تعالى- منذ مرحلة مبكرة باختصار الكتب المطولات لاقتناعي بعَسُر قراءتها على أهل العصر، وابتدأت ذلك العقد النظيم بكتاب جليل مدهش ألا وهو «سير أعلام النبلاء» للحافظ الذهبي[1] -رحمه الله تعالى- وقد كان

(١) محمد بن أحمد بن عثمان، الحافظ شمس الدين أبو عبد الله التركماني الذهبي محدث عصره، ولد سنة ٦٧٣ هـ، واعتنى بطلب الحديث وارتحل من أجله منذ كان عمره ١٨ سنة، وألّف مصنفات جامعة نافعة، توفي سنة ٧٤٨ هـ بعد أن أضر رحمه الله تعالى، انظر ترجمته في «طبقات الشافعية الكبرى» ٩/ ١٠٠-١٢٣.

الكتاب ينزل الأسواق جزءاً إثر آخر منذ أوائل القرن الهجري ١٤٠٠ هـ/ ١٩٧٩م؛ لأن الكتب الضخمة التي نُسجت على منواله كانت لا تنزل إلى السوق دَفعةً واحدة إنما هو واحد على إثر آخر، وربما كان ذلك لقلة ذات يد الناشرين آنذاك.

وقد اقتنيت الجزء الأول أثناء طلبي العلم في كلية الشريعة في جامعة الإمام فرع أبها، ولو أردت أن أحدثكم عن أثر قراءة هذا الكتاب في نفسي فلربما لا أستطيع لعظم ذلك الأثر، فقد درست على مشايخَ عديدين قبل التحاقي بالجامعة وأثناءه وبعده، ومما درسته شيء من فقه السلف وعقيدة السلف، لكني لم أكن أعرف شيئًا كثيراً عن أعلام السلف وعظمائهم، ففوجئت عند قراءتي الكتاب بما لا عهد لي به ولا معرفة، فيالله كم من الليالي هزتني أخبار هذا الكتاب فسالت مني دموع، وأدركني خضوع وخشوع، وخجلت من نفسي، وعلمت قسوة قلبي؛ وضعف إيماني ويقيني إذا ما قارنت كل ما عندي بما هنالك، وعرضت بضاعتي على جلال وجمال تلك المسالك، وكنت أقول لنفسي: كيف لم أقرأ في أخبار هؤلاء من قبل؟ وكيف لم أدْرِ بهم وبسيَرهم؟ وما هذا الجهل الفاضح بهؤلاء العظماء؟ وما هذا الثمنَ الفادحَ الذي دفعته لقاء جهلي بأولئك وأثر ذلك الجهل على سلوكي وخلقي؟ والله المستعان.

وقد قرأت الكتاب كله لنفسي وفائدتها، ثم بعد أن أنهيت السنة المنهجية من «الماجستير» في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، وحَصّلت قواعد التخريج ودراسة الأسانيد والتحقيق صَحّ العزم مني أن أعيد قراءة الكتاب كله من جديد، وأختصره لأخرجه للناس على قواعد شرعية قويمة في إثبات ما أريد إثباته وحذف ما أريد حذفه، ولم أكن في القراءة الأولى عازمًا على إخراجه للناس مهذبًا مختصراً، إنما قرأته لنفسي وأعددته للاستفادة منه في رَمْسي وبين

يدي ربي جل جلاله، لكني رأيت بعد ذلك أن ما فيه أنفسُ من أن أتركه في بطون الكتاب، وأعظم من أن يُهمل في ثنايا الأوراق، فعكفت عليه مدة طويلة حتى استطعت أن أقرأ مجلداته الضخمة مرة أخرى، وأهذبه على نهج اخترته وسطرته في مقدمة الكتاب لمن أراد الرجوع إليها، وسميته «نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء» ليكون نزهة للقارئ المبتدئ، وتذكرة للمنتهي، وعظة للمؤتسي، وقد كتب الله - تعالى- للكتاب شيئًا من القبول، خاصة فهرسة الفوائد الذي وضعته على نهج أرى، والله تعالى أعلم، أنه غير مسبوق على ذلك الوجه، فالحمد لله على ذلك، وأسأله من فضله ونعمه.

- ومن الكتب التي لا أستطيع وصف ما تركته في نفسي من التأثير كتاب «الروضتين في أخبار الدولتين» للإمام أبي شامة المقدسيّ[1]- رحمه الله تعالى- وهو كتاب جليل يتحدث في شأن الدولتين النورية والصلاحية: دولة نور الدين زنكي[2] وصلاح الدين الأيوبي[3]-رحمهما الله تعالى- وفي الكتاب من

---

(١) الإمام العلامة ذو الفنون شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الأصل الدمشقي الشافعي، الفقيه المقرئ النحوي، الملقب بأبي شامة لشامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر. له مصنفات عديدة مفيدة، وكان متواضعًا، محبًا للعزلة والانفراد. قتلته الباطنية بدمشق سنة ٦٦٥ هـ رحمه الله تعالى. وانظر «الوافي بالوفيات»: ١١/ ١١٣-١١٦.

(٢) نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر، أبو القاسم التركي، السلطان الكبير العادل الزاهد، صاحب المعارك الكبيرة مع الصليبيين، وهو الذي مهّد الطريق لبيت المقدس لخليفته من بعده صلاح الدين رحمهما الله تعالى. عدّه بعض المؤرخين سادس الخلفاء الراشدين لصفات فيه لم تكن لملك في الإسلام بعد معاوية رضي الله عنه. توفي رحمه الله تعالى سنة ٥٦٩ هـ. وانظر ترجمته في انظر «سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٥٣١ وما بعدها.

(٣) صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي، أبو المظفر الدُّوينيّ التكريتي الأيوبي السلطان الكبير الذي فتح الله على يده بيت المقدس وطهّر بلاد الشام - إلا عكا - من الصليبيين. وكان له معهم الوقائع المحمودة. توفي رحمه الله تعالى سنة ٥٨٩ هـ. انظر ترجمته في المصدر السابق ٢١/ ٢٧٨ وما بعدها.

التفاصيل الجليلة والأخبار العظيمة ما يشد القارئ شدًا لا يملك معه إلا أن يسير مع مسار الكتاب حيث سار، والكتاب قادر على أن يرتع في قلب القارئ وعقله ما شاء الله له أن يرتع ويجول.

وفي الكتاب من تفاصيل جلال صفات وخلال السلطان نور الدين زَنْكي ما لا مزيد عليه، وقد وُصف في كتب التواريخ بصفات رائعة لا بد للقراء من الاطلاع عليها ومعرفة عظمتها.

وفي الكتاب أيضًا أخبار السلطان صلاح الدين والدنيا يوسف بن أيوب الأيوبي، وتفاصيل فتح بيت المقدس ونص خطبة الجمعة الأولى - وما أروعها وما أجملها-.

وفي الكتاب أخبار القاضي الفاضل[1]، وهو الوزير الأول المقرب لصلاح الدين، وساعده الأيمن، وهو أديب مشهور وعالم بالعربية جليل، وقد قال فيه صلاح الدين: لا تظنوا أني فتحت البلاد بسيفي بل بقلم القاضي الفاضل.

وقد كان لي شرف تلخيص هذا السفْر النفيس، وإخراجه للقراء، وينبغي أن أُقر بأنه كان أعظمَ كتاب قرأته، وأجَلَّ سفر أخرجته، ويفوق «سير أعلام النَبلاء» في نفَسه الجهادي الواضح، وغزوه للقلوب والعقول في انسيابية مدهشة، وقد أبدع الإمام أبو شامة المقدسي في تأليفه، فرحمة الله عليه رحمة

---

(١) هو عبدالرحيم بن علي البيساني العسقلاني ثم المصري، نزح من فلسطين إلى مصر في زمن الدولة العبيدية، وخدم في دواوين الإنشاء فيها، ثم التحق بصلاح الدين لما كان وزيراً بمصر، وكان له أثر كبير في إنجاح جهاده، حتى أنه قال: «لا تظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم القاضي الفاضل»، وما زال معه حتى توفي صلاح الدين. وكان صاحب طريقة في الكتابة لا مثيل لها. توفي سنة ٥٩٦ هـ، رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في «وفيات الأعيان»: ١/ ٢٨٤.

واسعة، والكتاب كان مجهولاً عند كثير من الدعاة والصالحين وطلبة العلم فكان لي شرف التعريف به وحُسن إخراجه للناس، فيما أحسب، والله أعلم.

ولصلتي بكتاب الروضتين قراءةً واختصارًا قصة جليلة؛ فقد عثرت عليه عندما زرت معرض الكتاب في القاهرة، وقد كنت في زياراتي للمعرض في ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م وما بعدها لا أكاد أترك دارًا إلا وأدخلها، ولا زاوية من زواياها إلا فحصتها على عجل، فعثرت على كتاب الروضتين مُلقًى على الأرض في زاوية مهملة يعلوه التراب، فأخذته ونفضت التراب عنه واقتنيته، وهو كتاب مصور من طبعة حجرية صعبة، في مجلد واحد بخط دقيق.

وحملت الكتاب معي، وأنستني السنون وتتابعها، وأحداث حرب الخليج الأولى وشدتها خبر الكتاب حتى تهيأت للسفر إلى ليبيا عام ١٤١٥ هـ ١٩٩٥/ م فاخترت كتاب الروضتين ليكون رفيقي في ذلك السفر الطويل الممل، فقد كان المجال الجوي مغلقًا بسبب العقوبات الأمريكية على ليبيا آنذاك، فاضطررت للسفر برًا من القاهرة في حوالي ٣٠ ساعة حتى وصلت بنغازي، وبدأت بتهذيب الكتاب في الحافلة، فلما اقتربنا من الحدود الليبية، وكان بجواري رجل مصري من قبيلة أولاد علي من العرب الأقحاح في هيئته ولباسه وكلامه، فقال لي: إني أرى لك أن تتخلص من الكتاب ولا تأخذه معك إلى ليبيا فقد يؤذونك في الحدود بسببه.

فقلت: هذا كتاب في التاريخ ولا خطر له.

فقال: ولو، فهؤلاء القوم لا يفهمون هذا.

فقلت: وما أقصى ما يمكن أن يعملوه إلا أن يصادروا الكتاب؟

فقال : سيصادرونك معه!!

فقلت : لا طاقة لي في هذا السفر الطويل الممل أن أفرط في الكتاب فليعملوا ما شاؤوا !!

فلما دخلت الحدود وجئت إلى التفتيش وجدت بعض الأقارب ينتظرني على الحدود وعرفني بالموظف المسئول عن التفتيش، فهممت بفتح الحقيبة له وقلبي واجب مضطرب خوفًا على الكتاب، فقال لي : أنتم أسياد البلاد فلا نفتشكم، فسعدت سعادة كبيرة، وبحثت عن المصري لأخبره بما جرى فلم أقع له على أثر.

ثم إنه في رحلة العودة إلى البلاد كاد الكتاب يُفقد في حادثة جليلة جرت عليّ ولكن الله تعالى سلم، ولذلك قصة أخرى ليس مكانها هاهنا.

وللدلالة على تأثير الكتاب القاهر أني طلبت من شيخي وأستاذي ومن أُعدُّه عَلَم العلماء الدعاة في هذا العصر الأستاذ الدكتور/ عبد الستار فتح الله سعيد- طلبت منه أن يقدم الطبعة الثانية للكتاب، فاعتذر لي، واعتلّ بأنه مشغول ولا يمكنه قراءته، فرجوته مُلحًا، ولم يكن بي حاجة للتقديم قدر رغبتي في استدراجه لقراءة الكتاب لأعرف رأيه فيه، فنزولاً على إلحاحي ولمنزلتي عنده - حفظه الله تعالى- قرأ الكتاب وقدّم له، وقد اتصل بي بعد قراءته إياه فقال لي فيما قال : ماذا صنعت بي يا محمد، فأنا لم أنم منذ ليلتين لأقرأ الكتاب!! ولما قابلته صار يحدثني في شأن الكتاب وعيناه قد اغرورقتا بالدموع وملأت نظارته، ولم أره هكذا من قبل ولا من بعد، فقد حدثني عن مواقف كثيرة تثير الأشجان والعواطف وكنت أبكي ولا يبكي، وطلب من الكتاب ألف نسخة

يشتريها ليوزعها في مصر، وهذا دليل على تأثير الكتاب وإخلاص أبي شامة فيه، نحسبه كذلك والله حسيبه، رحمه الله تعالى.

وأنا أكتفي هاهنا بإيراد نموذج واحد من أخبار الكتاب ألا وهو رسائل القاضي الفاضل إلى صلاح الدين لما كان محاصراً عكا، وسبب تلك الرسائل أن الحصار طال ثلاث سنين حتى مل قادة جيش صلاح الدين، وصاروا يتفلتون بأعذار مختلفة ليعودوا إلى بلادهم، فشكى صلاح الدين إلى وزيره وقاضيه الأجلّ فأرسل إليه القاضي الفاضل رسائل رائعة من القاهرة يثبته فيها، فكان مما قاله له:

«إنما أُتينا من قِبَل أنفسنا، ولو صدقناه لعجل لنا عواقب صدقنا، ولو أطعناه لما عاقبنا بعدوِّنا، ولو فعلنا ما نقدر عليه من أمره لفعل لنا ما لا نقدر عليه إلا به، فلا يستخصم أحد إلا عمله، ولا يلم إلا نفسه، ولا يرج إلا ربه، ولا تنتظر العساكر أن تكثر، ولا الأموال أن تحضر، ولا فلان الذي يُعتقد عليه أن يقاتل، ولا فلان الذي ينتظر أنه يسير، فكل هذه مشاغل عن الله ليس النصر بها، ولا نأمن أن يكلنا الله إليها، والنصر به واللطف منه، والعادة الجميلة له، ونستغفر الله سبحانه من ذنوبنا، فلولا أنها مَسَدُّ طريق دعائنا لكان جواب دعائنا قد نزل، وفيض دموع الخاشعين قد غسل، ولكن في الطريق عائق، خار الله لمولانا في القضاء السابق واللاحق».

ومن كتاب آخر:

«وعسكرنا لا يشكو -والحمد لله- منه خوراً، وإنما يشكو منه ضجراً، والقوى البشرية لا بد أن يكون لها حدّ، والأقدار الإلهية لها قصد، وكل ذي

قصد خادم قصدها، وواقف عند حدها، وإنما ذكر المملوك هذا ليرفع المولى من خاطره مقت المتقاعس من رجاله، كما يثبت فيه شكر المسارع من أبطاله، قال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران ١٥٩]».

يا مولانا، أليس الله تعالى اطلع على قلوب أهل الأرض فلم يؤهّل ولم يستصلح ولم يختر ولم يُسهل ولم يستعمل ولم يستخدم في إقامة دينه وإعلاء كلمته وتمهيد سلطانه وحماية شعاره وحفظ قبلة موحديه إلا أنت، هذا وفي الأرض من هو للنبوة قرابة، ومَن له المملكة وراثة، ومن له في المال كثرة، ومن له في العدد ثروة، فأقعدهم وأقامك، وكسّلهم ونشّطك، وقبضهم وبسطك، وحبب الدنيا إليهم وبغّضها إليك، وصعّبها عليهم وهونها عليك، وأمسك أيديهم وأطلق يدك، وأغمد سيوفهم وجرّد سيفك، وأشقاهم وأنعم عليك، وثبطهم وسيّرك: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦].

نعم وأخرى أهم من الأولى أنه لما اجتمعت كلمة الكفر من أقطار الأرض وأطراف الدنيا ما تأخر منهم متأخر، ولا استبعد المسافة بينك وبينهم مستبعد، وخرجوا من ذات أنفسهم الخبيثة، لا أموال تنفق فيهم، ولا ملوك تحكم عليهم، ولا عصا تسوقهم، ولا سيف يزعجهم، مُهطعين إلى الداعي، ساعين في أثر الساعي، وهم من كل حَدَب ينسلون، ومن كل بر وبحر يقبلون، كنت يا مولانا -كما قيل- أبقاك الله:

ولستَ بملك هازم لنظيره ... ولكنك الإسلام للشرك هازم

هذا وليس لك من المسلمين كافة مساعدة إلا بدعوة، ولا مجاهد معك

إلا بلسانه، ولا خارج معك إلا بهمٍّ، ولا خارج بين يديك إلا بالأجرة، ولا قانع منك إلا بزيادة، تشتري منهم الخطوات شبرًا بذراع، وذراعًا بباع، تدعوهم إلى الله وكأنما تدعوهم إلى نفسك، وتسألهم الفريضة كأنك تكلفهم النافلة، وتعرض عليهم الجنة وكأنك تريد أن تستأثر بها دونهم.

والآراء تختلف بحضرتك، والمشورات تتنوع بمجلسك، فقائل: لمَ لا نتباعد عن المنزلة، وآخر: لم لا نميل إلى المصالحة، ومتندم على فائت ما كان فيه حظ، ومشير بمستقبل ما يلوح فيه رشد، ومشير بالتخلي عن عكا، وما كأنها طليعة الجيش ولا خَرَزة السلك إن وهت تداعى السلك؛ فألهمك الله قتل الكافر، وخلاف المخذّل، والتجلد وتحت قدمك الجمر، وأفرشك الطمأنينة وتحت جنبك الوعر.

ولكن مولانا صبيحة وجهه	كضوء شهاب القابس المتنور
قليل التشكي للمهم نصيبه	كثير الهوى شتى النوى والمسالك

لا شبهة أن المملوك قد أطال، ولكن قد اتسع المجال، وما مراده إلا أن يشكر الله على ما اختاره له ويسره عليه، وحببه إليه، فرُبَّ ممتحنٍ بنعمة، ورب منعَم عليه بمشقة، وكم مغبوط بنعمة هي داؤه، ومرحوم من بلوى هي دواؤه، ويريد المملوك بهذا أن لا يتغير لمولانا -أبقاه الله- وجه عن بشاشة، ولا صدر عن سَعة، ولا لسان عن حسنة، ولا تُرى منه ضجرة، ولا تُسمع منه نهرة؛ فالشدة تذهب ويبقى ذكرها، والأزمة تنفرج ويبقى أجرها، وكما

لم يُحدث استمرار النعم لمولانا -عز نصره- بطرًا فلا تُحدث له ساعات الامتحان ضجرًا، والمملوك يستحسن بيتي حاتم، ومولانا -أبقاه الله وخلد سلطانه وملكه- يحفظهما:

شربنا بكأس الفقر يومًا وبالغنى وما منهما إلا سقانا به الدهر

فما زادنا بغيًا على ذي قرابة غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر

والمملوك بأن يسمع أن مولانا -عز نصره- على ما يعهده من سعة صدر أسرُّ منه بما يسمعه من بشائر نصره، ويا ليتني كنت معهم، وماذا كانت تصنع الأيام إما شيبًا من مشاهدة الحروب، فقد شبنا والله من سماع الأخبار، أو غُرمًا يمكن خُلفه من الوفر، فقد غرمنا والله في بُعد مولانا ما لا خُلف له من العمر، أو مرض جسم فخيره ما كان الطبيب حاضره، ولقد مرضنا أشد المرض لفراقه غير أن التجلد ساتره».

ومن كتاب آخر:

«قيل للمهلب: أيسرُّكَ ظفر ليس فيه تعب؟ فقال: أكره عادة العجز.

ولا بد أن تَنْفُذَ مشيئة الله في خلقه، لا رادَّ لحكمه، فلا يتسخط مولانا بشيء من قدره، فلأن يجري القضاء وهو راضٍ مأجور خير من أن يجري وهو ساخط موزور، من شكا بثَّه وحزنه إلى الله، شكا إلى مشتكى واستغاث بقادر، ومن دعا ربه خفيًا استجاب له استجابة ظاهرة. فلتكن شكوى مولانا إلى الله خفية عنا، ولا يقطع الظهور التي لا تشد إلا به، ولا يُضيّق صدورًا لا تنفرج إلا منه،

وما شرد الكرى، وأطال على الأفكار ليل السُّرى إلا ضائقة القوت بعكا، ولم يبق إلا ضعف نعم المعين عليه ترويح النفس وإعفاؤها من الفكر، فقد علم مولانا بالمباشرة أنه لا يُدَبِّرُ الدهر إلا برب الدهر، ولا ينفذ الأمر إلا بصاحب الأمر، وأنه لا يقلُّ الهم إن كثر الفكر:

قد قلت للرجل المقسَّم أمرُهُ   فوض إليه تنم قرير العين

وكل مقترح يجاب إليه إلا ثغراً يصير نصرانيًا بعد أن أسلم، أو بلداً يخرس فيه المنبر بعد أن تكلم. يا مولانا، هذه الليالي التي رابطت فيها والناس كارهون، وسهرت فيها والعيون هاجعة، وهذه الأيام التي ينادي فيها: يا خيل الله اركبي، وهذه الساعات التي تزرع الشيب في الرءوس، هي نعمة الله عليك، وغراسك في الجنة: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا**﴾ [آل عمران: ٣٠] وهي مُجَوِّزاتك على الصراط، وهي مثقلات الميزان، وهي درجات الرضوان، فاشكر الله عليها كما تشكره على الفتوحات الجليلة، واعلم أن مثوبة الصبر فوق مثوبة الشكر.

من ربط جأش أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قوله: (لو كان الصبر والشكر بعيرين، ما باليت أيهما ركبت). وبهذه العزائم سبقونا وتركونا لا نطمع في اللحاق بالغبار، وامتدت خطاهم ونعوذ بالله من العثار، ما استعمل الله في القيام بالحق إلا خير الخلق، وقد عرف ما جرى في سير الأولين، وفي

أنباء النبيين، وأن الله تعالى حرّض نبيه على أن يهتدي بهداهم، ويسلك سبيلهم، ويقتدي بأولي العزم منهم.

وما ابتلى الله سبحانه من عباده إلا مَن يعلم أنه يصبر، وأمور الدنيا ينسخ بعضها بعضًا، وكأنَّ ما قد كان لم يكن، ويذهب التعب ويبقى الأجر، وإنما يقظات العين كالحلم، وأهم الوصايا أن لا يحمل المولى همًا يضعف جسمه، ويضر مزاجه، والأمَّة بنيان وهو -أبقاه الله تعالى- قاعدته، والله يثبت تلك القاعدة القائمة في نصرة الحق.

ومما يستحسن من وصايا الفرس: (إن نزل بك ما فيه حيلة فلا تعجز، وإن نزل بك ما ليس لك فيه حيلة -والعياذ بالله- فلا تجزع). ورُبَّ واقعٍ في أمر لو اشتغل عن حمل الهم به بالتدبير فيه مع مقدور الله لانصرف همه، وما تشاءون إلا أن يشاء الله.

هذا سلطان هو بحول الله أوثق منه بسلطانه، قاتلت الملوك بطمعها وقاتل هذا بإيمانه، وإذا نظر الله إلى قلب مولانا فلم يجد فيه ثقة بغيره، ولا تعويلا على قوة إلا على قوته، فهنالك الفرج ميعاده، واللطف ميقاته، فلا يقنط من روح الله، ولا يقل متى نصر الله، وليصبر فإنما خُلق للصبر، بل ليشكر؛ فالشكر في موضع الصبر أعلى درجات الشكر، وليقل لمن ابتلَى: أنت المعافي، وليرض عن الله سبحانه؛ فإن الراضي عن الله هو المسلم الراضي».

وكتب السلطان إلى القاضي الفاضل كتابًا من بلاد الفرنج يخبره عمّا لاح له من أمارات النصر ويقول:

«ما أخاف إلا من ذنوبنا أن يأخذنا الله بها».

فكتب إليه الفاضل:

«فأما قول المولى: إننا نخاف أن نؤخذ بذنوبنا، فالذنوب كانت مثبتة قبل هذا المقام وفيه محيت، والآثام كانت مكتوبة ثم عفي عنها بهذه الساعات وعَفيت، فيكفي مستغفرًا لسان السيف الأحمر في الجهاد، ويكفي قارعًا لأبواب الجنة صوت مقارعة الأضداد، ولعَين الله موقفك، وفي سبيل الله مقامك ومنصرفك، وطوبى لقدمٍ سعت في منهاجك، وطوبى لنفس بين يديك قَتلت وقُتلت، وإن الخواطر تشكر الله فيك وعن شكرها لك قد شُغلت»[1] إلى آخر ذلك الكلام الرائق الرائع.

هذا وقد فرغت من الكتاب سنة ١٤١٧/ ١٩٩٦.

- ومن الكتب المهمة التي كان لي شرف اختصارها كتاب **«الوافي بالوفيات»** للإمام الصفدي[2]، وهو من أهل القرن الثامن، والكتاب جليل - على ما فيه من

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب «مختصر الروضتين في أخبار الدولتين»: ٢٧٩-٣٤٧.

(٢) هو خليل بن أيبك بن عبد الله، صلاح الدين الصفدي، أديب بارع، مؤرخ، كثير التصانيف الممتعة. ولد في صفد بفلسطين سنة ٦٩٦هـ وإليها نسبته، وتعلم في دمشق، ثم ولع بالأدب وتراجم الأعيان، وتولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، فتوفي فيها عام ٧٦٤ هـ. وكتب الخط الجديد، وقال الشعر الحسن، وكان محببًا إلى الناس، حسن المعاشرة، جميل المودة، له زهاء مائتي كتاب في التراجم والتاريخ واللغة والأدب وغيرها، رحمه الله تعالى. انظر: «الأخبار العليات من الوافي بالوفيات».

نقائص ذكرتها في مقدمة الاختصار- وسر جلالته الأسلوب الجليل الأدبي الذي كتب به الصفدي كتابه، والجزالة والرصانة والفخامة التي كسى بها ألفاظه، وحدث ولا حرج عما أورده من أخبار جليلة وتفاصيل دقيقة للتراجم التي ساقها، وعلى أنه قد ساق في كتابه التراجم التي عاشت في المدة نفسها التي ألّف بها الحافظ الذهبي كتابه الشهير «سير أعلام النبلاء» لكنه امتاز عن كتاب الذهبي بجودة الأسلوب ورقيّ الألفاظ وحسن الصياغة، والتفاصيل الدقيقة التي يوردها لتراجمه، والأشعار الرائقة الرائعة مما ينبغي الاستفادة منه من قِبَل كل شاد لتحصيل طرف من الأدب واللغة.

- ومن الكتب التي أعدها مهمة كتاب أعددته تكملة لكتاب **«نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء»** وسميته **«المختار المصون من أعلام القرون»**، ولما كان كتاب «النزهة» قد أتى على أخبار السبعة القرون الأولى تقريبًا، فقد أردت إعداد كتاب في بعض أخبار القرون الستة التالية للقرن السابع إلى بداية القرن الرابع عشر، فألفت هذا الكتاب: «المختار المصون من أعلام القرون» حاويًا لبعض الأخبار عن تلك القرون الستة التالية، وقد اختصرت تلك الأخبار من تسعة عشر كتابًا وثماني وعشرين ألف ترجمة، وطُبع الكتاب سنة ١٤١٥/ ١٩٩٥.

وأهمية الكتاب منبعثة من كونه يحوي أخبارًا لا عهد لأكثر الناس بها، من المغرب الأقصى غربًا إلى أندونيسيا شرقًا، ومن تركيا شمالاً إلى أواسط إفريقيا جنوبًا، خاصة في القرون المظلمة: القرن الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر الهجرية، وإنما وقفت بالكتاب إلى حافة القرن الرابع عشر ولم أورد أخباره لأني أوقن أن أخبار القرن الرابع عشر لا يمكن الإتيان بها على ما هي عليه في ضوء الحالة السياسية السائدة في أكثر البلاد العربية اليوم؛ إذ كيف أورد

أخبار القرن الرابع عشر وفيه تكونت أكثر الدول العربية والإسلامية سياسيًا، وفيه تكونت الجماعات الإسلامية المختلفة، وفيه ظهر الجهاد في سبيل الله - تعالى - بعد غياب طويل، وفيه استقلت الدول العربية، وفيه سقطت فلسطين، وفيه ظهرت الصحوة المباركة، وفي كل ذلك تفاصيل دقيقة لا يمكن إيرادها على وجه صحيح شامل في ظل الأوضاع السائدة اليوم، فرأيت أن أرجئ الحديث في شأن القرن الرابع عشر إلى وقت آخر أفضل وأنسب، والله أعلم.

وهذا الكتاب لم يكتب له القبول الواسع الذي كتب لبعض كتبي التي كان لي شرف اختصارها؛ وذلك لسببين، والله أعلم، السبب الأول عدم نسبة الكتاب إلى إمام بعينه كالسير والوافي والروضتين، فهو تجميع من تسعة عشر كتابًا، والسبب الآخر هو خفاء أهمية الكتاب وجلالة تفصيلاته عن أكثر المثقفين والدعاة والصالحين، والله المسئول بنشره وإقبال الناس عليه.

هذا وقد فرغت منه سنة ١٤١٩/ ١٩٩٥.

- ومن الكتب المهمة التي اختصرتها كتاب «**مظهر التقديس في زوال دولة الفرنسيس**» للمؤرخ الحبشي المصري عبدالرحمن الجبرتي[1]، رحمه الله تعالى، وهو كتاب جليل لأنه تدوين ليوميات الحملة الفرنسية منذ أن وطئت بأقدامها

(١) هو عبد الرحمن بن حسن بن إبراهيم، وهو حبشي الأصل، ومصري المولد والنشأة والموطن، جاء أسلافه مصر من جبرت: إحدى مقاطعات الحبشة، وكان أبوه الشيخ حسن عالمًا من علماء الأزهر. ولد عبد الرحمن في القاهرة سنة ١١٦٧هـ. وهو معدود خاتمة المؤرخين الكبار في مصر. ويظهر من كتاباته تمسكه واعتزازه بدولة الخلافة العثمانية وسخطه على المماليك الظلمة، وتبرمه الشديد من ظلم محمد علي وشدة بأسه وسطوته. توفي عبد الرحمن الجبرتي في القاهرة سنة ١٢٤١هـ، ويزعم بعض المؤرخين أنه مات مقتولاً، والله أعلم. انظر «الأعلام» ٣/ ٣٠٤ وذكر فيه أنه توفي سنة ١٢٣٧هـ لكن ما ذكرته في وفاته هو الصحيح إن شاء الله تعالى.

الدنسة الأرض المصرية الطاهرة سنة ١٢١١هـ/ ١٧٩٨م إلى أن انقلعت سنة ١٢١٤هـ/ ١٨٠١م، وقد كتبه الجبرتي بنفَس قوي مؤثر لأنه عايش الحملة في كل يوم منها، ولما أودع كتابه هذا كتابه الضخم «عجائب التاريخ والآثار» أعاد كتابته وخفف من شدة ألفاظه، ربما لأنه رأى من ظلم محمد علي باشا[1] له ما جعله ينسى مظالم الفرنسيين؛ ولأن لطول المدة التي فصلت كتابة النسخة الأولى عن الأخرى أثرًا في تغيُر اللهجة وشدة الألفاظ.

وأهمية الكتاب تنبعث من تدوين كامل لجرائم الحملة الفرنسية في مصر التي يفتخر ما يسمى بالتنويريين في مصر بها وأنها هي التي بعثت الحياة الفكرية والثقافية والعلمية في مصر!! وهذا الهراء طالما أسمعَناه التنويريون والعلمانيون وصدعوا رؤوسنا به، بل الأعجب أنهم أرادوا الاحتفال بمرور مائتي سنة على نزول الحملة الفرنسية على مصر، فهل سمعتم قط معشر القراء بمن يحتفل بمحتليه؟ وهل سمعتم بذلّ أكبر من هذا، والحمد لله أنهم لم يفلحوا في ذلك بعد اعتراض من بعض المخلصين.

والكتاب وثيقة مهمة توضح صوراً من بطولات المصريين في التصدي للحملة، وتوضح أثر الحملة في المجتمع المصري إيجابًا وسلبًا، وتوضح كيفية انتقال مصر إلى العصر الحديث؛ وذلك لأني أرى أن تاريخ الحملة الفرنسية على مصر هو بداية التاريخ الحديث في المنطقة العربية بما تبع تلك الحملة

(١) الأرنؤوطي. قدم عسكريًا مع عساكر الترك القادمين لتخليص مصر من الفرنسيين، ثم تقلبت به الأحوال وترقى حتى استطاع أن يقنع مشايخ مصر وعلى رأسهم نقيب الأشراف عمر مكرم بأحقيته في تولي حكم مصر، فرفع العلماء طلبهم إلى الدولة العثمانية فووفق عليه. كان له مزايا عديدة ونقائص عديدة، وكان في الجملة بعيدًا عن السلوك الإسلامي الصحيح. توفي سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م بعد أن كبر. وانظر «حلية البشر» ٣/ ١٢٤٠-١٢٤٢.

الفرنسية من صلات لمصر بفرنسا خاصة وغيرها من دول أوروبا بعد انقطاع دام قرونًا، وبما تبع تلك الحملة من أحداث سياسية وتيارات ثقافية وفكرية نشأت تدريجًا بعد انقلاع الحملة، وما تبع الحملة من إرسال الطلاب إلى فرنسا وهذا حدث ضخم أثّر في مصر وعدد من الدول العربية أثرًا كبيرًا وأحدث ما يعرف بالصدمة الحضارية، فالكتاب باختصار مهم ومهم جدًا للتعرف على بدايات كل ما أوردته آنفًا، والله أعلم.

هذا وقد فرغت منه سنة ١٤١٩/ ١٩٩٩.

- ومن الكتب المهمة التي اختصرتها حوالي ثلاثين كتابًا تُعنى بالرحلات الحجازية التي قام بها مجموعة من المشايخ والأدباء لحج بيت الله الحرام، وهذه الكتب -في أغلبها- جليلة ومتميزة، وعلى رأسها كتاب **«رحلة ابن جبير الأندلسي»**(١)، البالغة حدَّ الروعة في عبارتها ومعانيها وسلاسة ما ورد فيها.

ولا يُنسى كتاب **«في منزل الوحي»** للدكتور محمد حسين هيكل(٢)، وهو كتاب متميز جدًا في كل ما فيه تقريبًا، ولحجّه قصة عجيبة ذكرها في مقدمة كتابه.

ومن الكتب المهمة كتاب رحلة ريتشارد بيرتون وهو ضابط انكليزي ذهب

---

(١) هو محمد بن أحمد بن جبير الكنانيّ الأندلسيّ الشاطبيّ البَلَنسيّ. رحالة أديب. ولد في بلنسية سنة ٥٤٠هـ ونزل شاطبة. برع في الأدب، ونظم الشعر الرقيق، وأحب الترحال والتنقل فزار المشرق ثلاث مرات إحداها سنة ٥٧٨-٥٨١، وهي التي ألف فيها رحلته. مات بالإسكندرية في رحلته الثالثة سنة ٦١٤هـ-رحمه الله تعالى. انظر: «الأعلام»: ٥/ ٣٢٠.

(٢) هو محمد بن حسين بن سالم هيكل. ولد في قرية كفر غنام بالدقهلية بمصر سنة ١٣٠٥هـ. كاتب، صحفي، مؤرخ، من أعضاء المجمع اللغوي، ومن رجال السياسة. تخرج في مدرسة الحقوق بالقاهرة، وحصل على الدكتوراه في الحقوق من السربون بفرنسا، تقلب في المناصب الصحفية والحكومية حتى صار وزيراً للمعارف ثم رأس مجلس الشيوخ. توفي بالقاهرة سنة ١٣٧٦هـ رحمه الله تعالى. انظر «الأعلام»: ٦/ ١٠٧.

إلى الحجاز متخفيًا في هيئة درويش أفغاني منتصف القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وهو كتاب جدير بالقراءة، ويدل على مدى عناية بريطانيا بالجاسوسية لتنفيذ أغراضها.

ومن الكتب رحلة الشيخ علي الطنطاوي(١) - رحمه الله تعالى- وهي رحلة لطيفة السياق والسرد كعادة الشيخ علي فيما يورده في كل كتبه.

- ومن الكتب المهمة رحلة الأستاذ رشيد رضا(٢)، ورحلة خير الدين الزركلي السوري(٣).

---

(١) أديب العربية المعروف. سوري من أصل مصري من بلدة طنطا. استوطن مكة فسكنها طويلاً. كانت له رحلات وجولات في نصرة فلسطين والقضية الإسلامية. له العديد من المصنفات الدالة على علو كعبه في باب الأدب. وله آلاف الأحاديث في وسائل الإعلام، وله كذلك آلاف المقالات وعشرات المصنفات. توفي رحمه الله تعالى سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. انظر «ذيل الأعلام»: ٢/ ١٣٤، ١٣٥.

(٢) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد القَلَموني الأصل الحسينيّ، صاحب مجلة «المنار» وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. ولد في القلمون - من لبنان- سنة ١٢٨٢هـ، وتعلم فيها وفي طرابلس، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥هـ، فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له. ثم أصدر مجلة «المنار»، وصار مرجع الفتيا في التوفيق بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة. ارتحل مراراً، وله مصنفات كثيرة، وجرت عليه أحداث حتى توفي سنة ١٣٥٤هـ بمصر رحمه الله تعالى. انظر «الأعلام»: ٦/ ١٢٦.

(٣) العلامة أبو الغيث خير الدين بن محمود بن محمد الزركليُّ الدمشقيّ. وُلِدَ في بيروتَ سنة ١٣١٠هـ، ونشأ وترعرعَ في دمشقَ، ودرس فيها مراحل دراساته الأولية، ثم عاد إلى بيروت تلميذاً فأستاذًا، وجرت له فيما بعدُ من عمره فصول توالت عليه في إثرها المحن والكروب، وحكم عليه في دمشقَ غيابيًا بالإعدام إثرَ واقعة حدثت، وكان حكم الإعدام صادراً من الفرنسيين، وفر إلى فلسطين فمصر فالحجاز فمكث فيها مدة عند الشريف حسين، ثم دخل الزركليُّ في حكم الملك عبد العزيز، ولتقدّمه وفضله قلّدهُ الملكُ عدّة مناصبَ في الحكومة السعودية، كان آخرها سفيراً في دولة المغرب. توفّيَ - رحمهُ اللهُ - سنة ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦م في مدينة القاهرة، ولهُ ٨٦ سنة، قضى أكثرها باحثًا ومفكرًا وكاتبًا، له عدة كتب مهمة، ولهُ ديوانُ شعرٍ مطبوعٌ كذلكَ والزِّركليُّ: بكسر الزاي =

ورحلة أمير البيان شكيب أرسلان[1]، وغيرها من الرحلات الكثيرة التي اختصرتها وهذبتها ووضعتها في ٤ مجلدات بعنوان «الرحلات الحجازية إلى مكة المكرمة والمدينة النبوية» وهو كتاب مهم لأنه يورد مرحلة تاريخية امتدت من القرن السادس إلى الرابع عشر الهجري، ويعرض جوانب متعددة كثيرة في النواحي الاجتماعية والدينية والاقتصادية . . . إلخ.

- ومن الكتب المهمة التي اختصرتها كتابان للأستاذ محمد كُرْد علي[2]، وهو سوري معاصر، نهج سبيل القوميين العرب لكن بشيء من الاعتدال مع

= المُشدّدة وبعدها راءٌ مكسورة، وهي قبيلة أو أسرة كرديّة.
انظر ترجَمته في سلسلة «علماء ومفكرون معاصرون» في كتاب مستقل بعنوان «خير الدين الزركلي، المؤرخ الأديب» لأحمد العلاونة.

(١) شكيب بن حمود بن حسن أرسلان، من سلالة التنوخيين ملوك الحيرة. ولد في الشويفات بلبنان سنة ١٢٨٦هـ. كان عالماً بالأدب والسياسة، مؤرخ، من أكابر الكتّاب وهو من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق. انتخب نائبًا في مجلس المبعوثان العثماني. وسكن دمشق أثناء الحرب العالمية الأولى، ثم برلين، وانتقل إلى جنيف بسويسرا وسكن فيها ٢٥ عامًا ثم عاد إلى بيروت وتوفي بها سنة ١٣٦٦هـ-١٩٤٦/م رحمه الله تعالى. له مصنفات كثيرة ورسائل خاصة عددها يقدر بعشرات الآلاف وهو كان من أشد المتحمسين للدولة العثمانية ثم بعد ذلك للقضايا العربية. انظر: «الأعلام»: ٣/ ١٧٣- ١٧٥. وقد صح عندي أنه تسنن بعد أن كان درزيًا، رحمه الله تعالى.

(٢) محمد بن عبد الرزاق بن محمد، كُرْدْ علي، رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق ومؤسسه، وصاحب مجلة «المقتبس» والمؤلفات الكثيرة، من كبار الكتّاب. ولد سنة ١٢٩٣هـ بدمشق، وأصله من أكراد السليمانية - من أعمال الموصل- وتعلّم في المدرسة الرشدية، وأقبل على المطالعة والدروس الخاصة. وأحسن التركية والفرنسية وتذوّق الفارسية، وحفظ أكثر شعر المتنبي ومقامات الحريري، وتولى رئاسة تحرير عدد من المجلات والجرائد. هاجر إلى مصر وبقي فيها سنين، واتهم مرات بمعاداة جمعية الاتحاد والترقي وكاد يُقتل. ولي وزارة المعارف مرتين في عهد الاحتلال الفرنسي لسورية. وكان من أصفى الناس سريرة وأطيبهم لمن أحبهم عشرة وأحفظهم ودًا. توفي بدمشق سنة ١٣٧٢هـ رحمه الله تعالى. انظر «الأعلام»: ٦/ ٢٠٢، ٢٠٣.

محبة الإسلام وأهله، وتوفي أواسط القرن الفائت، والكتابان هما: «مذكرات محمد كرد علي» وكتاب «أقوالنا وأفعالنا» والأول في أربعة أجزاء، والآخر في جزء واحد، واختصرت كل ذلك في مجلد لطيف، أتيت فيه على أهم ما أورده الأستاذ في كتابيه، وقد أورد أموراً مهمة جداً من أحوال السياسة والدين والمجتمع الشامي ورجاله وأحوال الدولة العثمانية، وأمور الفكر والثقافة السائدة آنذاك، وسميت هذا الكتاب «**حال بلاد الشام في أوائل القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي**»، والكتاب جليل لولا أن مؤلفه شانه بذكر بعض أمور ما كان ينبغي له ذكرها، ولولا أنه أظهر فيه جهله ببعض الأحكام الشرعية كالحجاب مثلاً، وقد بينت كل ذلك في مقدمة كتابي.

والكتاب يبين بوضوح الأسباب التي ضعفت بها بلاد الشام حتى صارت لقمة سائغة للفرنسيين وأذنابهم.

- ومن الكتب المهمة التي أتيت عليها اختصاراً واختياراً «**مجلة معهد المخطوطات**» وهو معهد تابع لجامعة الدول العربية، وقد أصدر أكثر من خمسين مجلداً إلى الآن من مجلته تلك، فاخترت من هذه المجلدات الكثيرة بعض الموضوعات المهمة والطريفة، وأودعتها كتابي الذي سميته: «**الاختيارات من مجلة معهد المخطوطات**» في مجلد واحد لطيف، وفيه خلاصة كنوز المجلة، والله أعلم.

- وهناك كتب أخرى اختصرتها مهمة مثل «**الفتح المواهبي في سيرة الإمام**

الشاطبي» المقرئ المشهور المتوفى سنة ٥٩٠ هـ في مصر [(١)]، رحمه الله تعالى، والفتح للإمام القسطلاني [(٢)]، وأهمية الكتاب تنبعث من إيراده أخبار الإمام الشاطبي مجموعة وقد كانت نتفًا متفرقة مبثوثة في الكتب.

- وكتاب «**المختار من طبقات الشافعية الكبرى**» للإمام تاج الدين عبد الوهاب السبكي المتوفى سنة ٧٧١ هـ [(٣)]، وهو كتاب جليل جميل العبارة لكن كثيراً من أحداثه مكررة مع ما أوردته من أخبار في «**نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء**» وما أوردته من أخبار في «**الأخبار العليات من الوافي بالوفيات**» ولذلك لم أوردها في «المختار من طبقات الشافعية الكبرى» فجاء الكتاب -على جلالته- صغير الحجم نسبيًا، لأني لم أشأ أن أطيل في غير طائل، وأثقل الكتاب بمكررات أوردتها في مكان آخر.

هذا وقد فرغت من الكتاب سنة ١٤٢٩/ ٢٠٠٨.

---

(١) الشيخ الإمام العالم، القدوة، سيد القراء، أبو محمد القاسم بن فيره بن خلف الرُعيني الأندلسي الشاطبي الضرير. ولد سنة ٥٣٨هـ، وكان يتوقد ذكاء، له الباع الأطول في فن القراءات والرسم والنحو الحديث، وله النظم الرائق مع الورع والتقوى والتأله والوقار. استوطن مصر وتصدر وشاع ذكره وصبر على فقر شديد. توفي بمصر سنة ٥٩٠هـ. وكان يتجنب فضول الكلام ولا يجلس للإقراء إلا على طهارة رحمه الله تعالى. انظر «سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٢٦١-٢٦٤.

(٢) أحمدبن محمد بن أبي بكر القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين. من علماء الحديث. ولد في القاهرة سنة ٨٥١ هـ وتوفي بها سنة ٩٢٣هـ رحمه الله تعالى. له عدة مصنفات نافعة. انظر ترجمته في «الأعلام»: ١/ ٢٣٢.

(٣) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أبو نصر، تاج الدين. ولد سنة ٧٢٧ هـ وقرأ على جملة من المشايخ، وأمعن في طلب الحديث والاشتغال بالفقه والأصول والعربية حتى مهر وهو شاب، وكان ذا بلاغة وطلاوة ومعرفة بالأمور. له منصفات انتشرت في حياته ورزق فيها السعد. ولي عدة وظائف في بلاد الشام وانتهت إليه رياسة القضاء والإفتاء فيها، وحصلت له محن ثبت فيها وصفح عمن أساء إليه. توفي سنة ٧٧١ هـ رحمه الله تعالى. انظر «الدرر الكامنة»: ٣/ ٣٩-٤١.

- ومن الكتب الجليلة التي اختصرتها كتاب «**رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونُساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**» ومؤلفه هو أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي [1].

وهذا كتاب جليل لا مثيل له من حيث الجدّة في الأخبار الواردة فيه؛ فإني عملت في هذا الكتاب اختصاراً وتهذيبًا بعدَ فراغي من خمسة كتب مهمة في التراجم وهي «نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء»، و«الأخبار العليات من الوافي بالوفيات»، وكتاب «الروضتين في أخبار الدولتين»، وكتاب «المختار من طبقات الشافعية الكبرى»، وكتاب «المختار المصون من أعلام القرون»، وغيرها من كتب التراجم المفردة، فأشهد أني لم أقرأ في تلك الكتب - في مجموعها- سوى السير أحداثًا وأخباراً مثل ما في كتاب «رياض النفوس» من أخبار، فقد أورد فيه مصنفه أخباراً جليلة رائعة لأهل القرون الأربعة الأولى لصلحاء وأولياء ومجاهدي ومرابطي وعلماء ومشايخ تونس، وهي متكئة -في أغلبها- على الكتاب والسنة وبعيدة في أكثرها عن البدع والشطح اللذين يكثران في أهل القرون التالية لتلك القرون، وهي أخبار تفجؤ القارئ الجيد المتابع بجدتها وروعتها مهما قرأ من أخبار السلف فما بالك بغيره؟

ويبدو - جليًا - من كتاب المؤلف، رحمه الله تعالى، أنه عالم بالشرع المطهر، يميل إلى الرقائق ولهذا يكثر من إيرادها في كتابه.

---

(١) ولد في أوائل القرن الخامس الهجري، وأخذ عن علماء عصره. أقام مدة في صقلية ودرّس بها. وأقام في القيروان، وشهد تخريبها على أيدي الأعراب. توفي في حدود سنة ٤٧٤هـ رحمه الله تعالى. انظر «الأعلام»: ٤/ ١٢١، ١٢٢.

وقد اعتمد في كتابه أسلوب السرد القصصي المؤثر، وأكثر من إيراد الكرامات وأخبار جهاد العلماء والشعب التونسي لبني عبيد الشيعة الباطنيين الذين استولوا على مقاليد الحكم في تونس.

لكن المصنف -رحمه الله تعالى- لم ينقد ما أورده إلا قليلاً، ولم يبين رأيه فيما أورده غالبًا، وإن ظهر من سياق ما أورده موافقته مطلقًا على كل ما ساقه في كتابه، والحق أن كتابه يكاد يخلو من المؤاخذات العقدية، والشطحات السلوكية، والغموض والرموز والأسرار، التي امتلأت بها أكثر كتب التراجم في أواخر العصر الوسيط وما بعده.

هذا وقد فرغت من الكتاب سنة ١٤٣٤/ ٢٠١٣.

- ومن الكتب التاريخية المهمة التي اختصرتها كتاب «**الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى**» لمؤلفه الشيخ خالد الناصري[1]، وهو كتاب جليل، ذو أجزاء تسعة متوسطة الحجم، اختصرته في مجلد واحد، وقد أورد المصنف

---

(١) هو الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، ولد سنة ١٢٥٠هـ بمدينة سلا، الموافق سنة ١٨٣٥م، ونشأ بها، وقد كانت زاهرة بالعلوم والعلماء، فقرأ القرآن العظيم بالقراءات السبع، وقرأ متونًا من العلم الشرعي متنوعة، وقرأ العربية والأدب، ودرس المنطق والتصوف، وحل كثيرًا من مشكلات العلم على أشياخه، وأخلص للعلم نفسه، وأقبل عليه بكليته.
ودرس علم التاريخ، والرياضيات والطبيعيات، وعلم الجغرافيا، واطّلع على العلوم العصرية والمخترعات الأوروبية الحديثة، واطلع على المجلات العلمية باللغات الأجنبية، فصار بذلك متميزًا على أقرانه.
ثم تفرغ لنشر العلم وتدريسه أزيد من ٤٠ سنة، واشتغل بالتأليف، وكان يمزج تدريسه وتأليفه بواقعه الاجتماعي وأحوال زمانه، وختم تفسير القرآن مرتين في أسلوب جديد على أهل المغرب. له ٢٧ كتابًا. انقطع عن الناس والوظائف في آخر حياته، ولم يخرج إلا للصلوات حتى فاجأه المرض ثم الوفاة سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م - رحمه الله تعالى - وكانت جنازته على السنة، ورثي بمراث عديدة. مصدر الترجمة ما ساقه ولدا المصنف في بداية كتابه من ترجمة طويلة هذه خلاصتها.

أخبار المغرب الأقصى منذ الجاهلية إلى بدايات القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي، وقد أفلح إلى حد كبير في تعريف القراء بأخبار ذلك القطر القصي بإيجاز وشمول، والكتاب مهم للمغاربة والمشارقة، أما المغاربة فيطلعهم على تاريخ بلادهم، وأما المشارقة فلقلة اطلاعهم على تاريخ المغرب وجهل أكثرهم به.

هذا وقد فرغت من الكتاب سنة ١٤٣٦/ ٢٠١٥.

- ومن الكتب المهمة التي هذبتها واختصرتها كتاب «الفروق» للإمام القرافي (١):

وهو كتاب مهم جليل، قد ألّفه صاحبه لطلبة العلم والمشايخ والعلماء، فهو

---

(١) هو شهاب الدين، أبو العباس، أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي الصَنهاجي المغربي ثم المصري، المالكي، وصنهاجة من قبائل البربر بالمغرب، الإمام العلامة، المتفنن، ومصنفاته شاهدة له بالبراعة والفضل. أصله من مَرّاكُش بالمغرب، وولد بمصر سنة ٦٢٦ هـ، وعُرف بالقرافي لسكناه في مدافن القرافة بسفح المقطم بالقاهرة. وقد درس عددًا من العلوم الشرعية واللغوية، وتفقه بمذهب مالك لكنه لم يقتصر عليه ولم يتعصب له، وهذا واضح في تآليفه، وإن نصر مالكًا في عدد من المواطن، وقد جمع بين علوم عديدة على رأسها الفقه، والأصول، واللغة، والعلوم العقلية والطبيعية. وكان يحسن صناعة الآلات، وهو ما يسمى في عصرنا بالميكانيكا، وهذا يدل على جمع هذا الإمام العظيم بين علوم الشريعة وبعض العلوم العلمية، ويصلح أن يكون مثالاً لطلبة العلم في عصرنا. وقد أخذ عن مشايخ كثيرين منهم أعلام كبارٌ كعز الدين بن عبد السلام، وابن الحاجب، وأخذ عنه تلاميذ صاروا أئمة وأعلامًا. ومصنفات الإمام القرافي كثيرة فاقت العشرين مصنفًا بعضها مطبوع، وبعضها مخطوط، وبعضها مفقود.
ورأس كل تلك المصنفات، وأعظم تلك المؤلفات هو كتاب «الفروق» هذا.
وقد تقلد القرافي -رحمه الله تعالى- عددًا من الوظائف في المدارس المختلفة والمساجد.
توفي الإمام القرافي رحمه الله تعالى سنة ٦٨٤ هـ ودُفن بالقاهرة. انظر ترجمته في «الوافي بالوفيات»: ٦/ ١٤٦، ١٤٧، و«شجرة النور الزكية»: ١٨٨، ١٨٩، و«درة الحجال» ١/ ٨، ٩، و«الديباج المذهب»: ٢/ ٢٠٥-٢٠٨.

مجموع جليل فيه عدد من القواعد الفقهية والأصولية واللغوية، لكن فيه فوائد جليلة جداً تفيد مجموع الناس كالفرق بين الخوف والخشية، وكالفرق بين فرض العين وفرض الكفاية، وكالفرق بين اعتماد الحساب في أوقات الصلاة واعتماد الحساب في دخول شهر رمضان وهذه مهمة جداً لعموم الدعاة والصالحين والعاملين، فعمدت إلى ما فيه من فوائد مهمة فاصطفيتها، وقواعد جليلة فاخترتها بعد أن هذبتها، ولم أُودع في التهذيب إلا ما كان مفهوماً للعموم بلا دخول في الخلافات الفقهية والتشعبات والتقسيمات العلمية.

هذا وقد فرغت من الكتاب سنة ١٤٣٤/ ٢٠١٣.

●●●

• المبحث الرابع:

كيفية التأليف

قد سلكت في تأليف الكتب عدة طرائق، فمن ذلك:

١- الابتداء بالكتاب والاقتصار عليه حتى الفراغ منه.

٢- الابتداء بعدة كتب في وقت واحد، ثم الفراغ منها واحداً بعد آخر.

٣- الابتداء بكتاب، ثم بعد الفراغ من بعض مباحثه أبدأ بكتاب آخر حتى أفرغ منه، ثم أعود إلى الكتاب الأول.

وإنما أصنع ذلك لأسباب عديدة، منها: أن مادة الكتاب قد تكون صعبة، وتحتاج إلى نظر طويل، فتأتيني فكرة كتاب آخر أسهل فأشرع فيه، ثم أعود إلى الكتاب الأول.

ومن الأسباب أيضًا لذلك الصنيع هو أني أثناء كتابة الكتاب قد تطرأ بعض الأمور التي تلزمني بكتابة كتاب آخر عاجل، فأضطر إلى ترك ما أنا فيه والشروع في ذلك الكتاب.

وقد وجدت أن الطريقتين الثانية والثالثة نافعتان فصرت أؤلف كتبي سالكًا ما ذكرته، ووجه النفع أن المرء إن كتب شيئًا وعاد إليه مرة بعد مرة فإنه يكُرُّ عليه بالتصحيح والتدقيق والتحرير.

ثم إن مدة التأليف -بسلوك هاتين الطريقتين- تطول، وهذا الطول في الزمن نافع، بإذن الله تعالى، في إنضاج المادة أكثر، واستفراغ الوسع في جمع مسائل ما أريد الكتابة فيه.

وهذا هو السبب في أن القراء يفاجأون بخروج كتابين أو ثلاثة في وقت متقارب أو واحد، والله الموفق.

وأما تجميع المادة فقد سلكت فيها عدة سبل، فمن ذلك:

بعد اختيار موضوع الكتاب، والنظر في الاعتبارات التي ذكرتها آنفًا من كون الموضوع لم يطرق من قبل أبدًا، أو طرق طرقًا ناقصًا لا يكاد يغني شيئًا كثيرًا، والنظر في ملائمة الموضوع المختار للمجتمع وتقبله له، فإني أصنع التالي:

١- حصر عناصر الموضوع مراعيًا حال المجتمع وصلته بموضوع الكتاب.

٢- النظر الفاحص في كتابة كل من كتب في بعض جوانب هذا الموضوع، أو في أحد عناصره، أو في شيء له صلة به، ومن ثم تقويم هذه الكتابة، والنظر في إمكان الاستفادة منها.

٣- حصر التجارب المجتمعية التي لها صلة بالموضوع إيجابًا وسلبًا، وهذا الحصر مستفاد من الخبرة والتجربة والمعاشرة الطويلة للمجتمعات المحلية والإقليمية والدولية.

٤- جمع الآيات والأحاديث والآثار التي لها صلة بموضوع الكتاب، والاطلاع على ما كتبه المفسرون وشراح الأحاديث والآثار في ذلك.

٥- جمع الأخبار والقصص التي لها صلة بالموضوع من كتب التراجم والأدب وغيرها.

بعد كل ذلك أسرد الكتابة في الموضوع الذي أريد مع مزجها بما سبق.

واليوم فقد تيسر البحث عن طريق شبكة المعلومات؛ التي فتحت للباحثين أبوابًا ما كان لهم عهد بها من قبل، فيستطيع المرء الناظر في الشبكة أن يجد عشرات وربما مئات الموضوعات التي تخدم بحثه وتجوّده، وتمده بمصادر ومراجع ما كان له أن يجدها فيما بين يديه من مصادر ومراجع، وقد لا تكون متوافرة في بلاده.

ثم إن الشبكة تحوي مادة نقدية ضخمة لما يريد الباحث تضمينه في بحثه مما هو مفتقر إلى نقد وتقويم، وهذه المادة النقدية مهمة وإثرائية للبحث، ما كانت بين أيدي الباحثين قبل ظهور الشبكة العالمية بالسهولة نفسها ولا بعشر معشارها، بل ربما كانت في بعض الجوانب والأحوال متعذرة، وهذا من فضل الله تعالى على باحثي هذا الزمان.

ولقد استفدت كثيراً من الشبكة العنكبوتية في جمع المادة وكذلك في نقد ما يحتاج إلى نقد منها، ووجدت الفارق في المصنفات التي صنفتها قبل ظهور الشبكة وبعدها.

ومما ساعدتني فيه الشبكة جدًا قضية تخريج الأحاديث والآثار وتحقيقها؛ فقد استعنت بكلام أئمة أهل الحديث في التحقيق والتخريج، وأما قبل ظهور الشبكة فقد كنت أُجهد نفسي كثيراً في تتبع كلام الأئمة من مظانّه، وربما لم أجد من تكلم على الحديث أو الأثر فأجتهد في الحكم عليه، وكل هذا كان يكلفني جهدًا ووقتًا وصعوبات يعرفها الباحثون.

●●●

• المبحث الخامس:

التأليف في التراجم

للتراجم والسير الشخصية للعظماء أثر لا ينكر في تقويم السلوك الإنساني، وتهذيب الخلق، وقد عمدت إلى التأليف في هذه التراجم المؤثرة، وذلك إضافة لما اختصرته وهذبته من كتب التراجم التي ذكرتها في المبحث السابق، وقسمت التأليف إلى قسمين:

- **التراجم شبه المجهولة والمنسية عند أكثر مثقفي المسلمين.**

- **والتراجم المشهورة.**

فمن القسم الأول ألفت كتاب: «**عظماء منسيون في التاريخ الحديث**» في أربعة أجزاء نشرت مجموعة في مجلد واحد، ونشرت أيضًا مفردة كل جزء في رسالة، ووضعت في تلك الأجزاء الأربعة بعض التراجم المهمة والمؤثرة ممن أثير عليها غبار النسيان، وأهمل ذكرها أهل هذا الزمان، واشترطت أن يكونوا جميعًا من أهل العصر الحديث أي من أهل القرنين الأخيرين، واشترطت أن يكون لهذه الشخصيات المختارة وجه من أوجه العظمة أو أكثر، وأن تكون الشخصية منسيةً من أكثر أهل العصر رجاءَ أن أكون ممن أحيا ذكرها.

هذا وقد ألفت الكتاب سنة ١٤٣٠/ ٢٠٠٩.

وكذلك ألفت على غراره وبالضابط نفسه كتاب «**مجاهدون منسيون**»، صدر منه جزء، والباقي سيتلوه إن فسح الله -تعالى- في المدة، ومَدّ في العمر جَلّ جلاله.

وقد فرغت منه سنة ١٤٣٣/ ٢٠١٢.

وفي هذه السلسلة لم ألتزم بالمنهج العلمي الذي اعتدته في سائر كتبي من توثيق النقول وذكر المصادر والمراجع، وأصدقكم أني ندمت على هذا الذي صنعته لكن كان له سبب ألا وهو أن المادة جمعتها من مظان عديدة على مدد متفاوتة، وكثير منها ناتج

عن قراءة واسعة، ثم وقر في قلبي وعقلي تلك الشخصية فنقلتها إلى الورق بعد ذلك بمدة، وهذه كله صَعّب عليّ إثبات المراجع بعد ذلك أثناء الكتابة، والله المستعان.

أما القسم الآخر -وهو التأليف في التراجم المشهورة- فوضعت فيه إلى الآن ثلاث رسائل:

الأولى: «الشيخ عبدالعزيز بن باز مثقفًا ومفكرًا»:

وهذه الرسالة لها قصة طريفة، فقد طلبت مني دار شامية أن أكتب ترجمة للشيخ ابن باز - رحمه الله تعالى- وذلك لأنها تريد جمع شخصيات عظيمة معاصرة في كتاب واحد، وتريد أن تورد فيه ترجمة الشيخ، فأبيت وقلت لأصحابها: إني لم أجتمع بالشيخ سوى مرة واحدة، وهناك من مكث معه وخالطه عشرات السنين وهم أولى بهذا مني.

فقالوا: نعم لكننا نريدك أن تكتب الترجمة بأسلوبك، وألحّوا عليّ في ذلك.

فقلت لهم: إذن أكتب في موضوع محدد وهو: «الشيخ عبد العزيز بن باز مثقفًا ومفكرًا» فعجبوا من هذا الاختيار وقالوا إننا لا نعرف الشيخ إلا عالماً أما أن يكون مثقفًا ومفكرًا فهذا أمر جديد علينا.

فقلت لهم: دعوني أثبت ذلك، فكتبت لهم ما يصلح أن يدلّ على أن الشيخ كان قد حَصّل قدرًا مهمًا وجيدًا ومناسبًا من الثقافة والفكر، فكان هذا الكتاب، والله أعلم.

هذا وقد فرغت من الكتاب سنة ١٤٢٧/٢٠٠٨.

الرسالة الثانية: «الصفات التي أنضجت دعوة النورسي»:

للشيخ سعيد النورسي[1] فضل كبير في الحفاظ على إيمان كثير من الأتراك في

(١) ولد سنة ١٢٩٣ هـ/١٨٧٦م في قرية نُوْرْس - فهو النُوْرسي وليس النَوْرسي إذًا - وتقع هذه القرية في جنوب شرقي تركيا، وهي من مناطق الأكراد، وكان أبواه صالحين ورعين، تعلم بديع الزمان منهما الصلاح والورع. درس في الكُتّاب، ثم انتقل من قرية إلى أخرى، ومن مركز إلى =

وقت اشتد فيه الإلحاد، ودُرِّس في المدارس، وأصبح مذهبًا للدولة تسير عليه، فكم حاربت من دعاة الإسلام، وكم هدمت من شرائعه، فجاء النورسي في وقت عصيب، ووفقه الله - تعالى - لعمل شيء عظيم، وركَّب فيه من الصفات ما

= آخر ليدرس على المشايخ، وقرأ قراءة ذاتية مطولة، واستوعب كثيرًا من الكتب دراسة وحفظًا. وتضلع من العلوم حتى لقب ببديع الزمان واعترف له العلماء بالتقدم والذكاء والمعرفة.
شارك في الجهاد في جبهة القفقاس في الحرب العالمية الأولى، وأسره الروس سنتين وأربعة أشهر، وأفلت من الأسر أثناء فوضى الثورة الشيوعية البلشفية سنة ١٩١٧م، وعاد إلى بلاده فاستقبل استقبال الأبطال من الخليفة وشيخ الإسلام والقائد العام وطلبة العلوم الشرعية، ومنح وسام الحرب.
لما تولى الهالك مصطفى كمال السلطة في تركيا ألغى السلطنة العثمانية في ١/ ١١/ ١٩٢٢م، ثم ألغى الخلافة في ٣/ ٣/ ١٩٢٤م، ومنع تدريس الدين في المدارس كافة، وبُدلت الأرقام والحروف العربية إلى اللاتينية، وحُرِّم الأذان بالعربية وصار بالتركية، وحظر الحجاب، وحظر طبع الكتب الإسلامية، وأرغم الرجال على لبس القبعات، وأُسست محاكم لإرهاب الناس عامة والعلماء والدعاة خاصة، ونصبت المشانق، وساد البلاد خوف ورهبة، ونشط الصحفيون في نشر الأخلاق السيئة، والاستهزاء بالدين، وانتشر الإلحاد، وصارت البلاد في مهب الريح، وهنا نفي بديع الزمان -في جملة من نفي- إلى مناطق مختلفة، ثم نفي إلى بارلا، وهي منطقة نائية، وجرت له عدة محاكمات أظهر فيها صنوفًا من الثبات والقوة واليقين.
عكف في منفاه على كتاب الله تعالى يستمد منه المعالم الأساسية للمنهج الذي ارتضاه في حياته، ويستمد منه الثبات والقوة واليقين، وفي أثناء هذه القراءة المطولة انقدحت في ذهنه معاني كثيرة جليلة سطرها في ١٣٠ رسالة عرفت باسم رسائل النور، وكان يمليها على من يرافقه، ثم استنسخها طلابه بخط اليد إلى أن بلغ المستنسخ ستمائة ألف نسخة !! ولم تجد طريقها للمطابع إلا بعد سنة ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٤م.
انتشر طلابه في تركيا، وانتشرت إثر ذلك دعوته في تركيا وأجزاء من العالم العربي والإسلامي في حياته وبعد وفاته، وصارت هناك مؤسسة تنشر أفكار الشيخ، وصار هناك مئات الآلاف من المتلمذين على رسائله، وعقدت مئات الندوات والمؤتمرات التي تناقش فكره وتظهر شمائله.
توفي رحمه الله تعالى في ٢٥/ رمضان/ ١٣٧٩ هـ، ٢٣/ مارس/ ١٩٦٠م، ودفن في مدينة أورفة، وبعد ٤ أشهر من وفاته نبشت السلطات قبره، ونقلوا رفاته بالطائرة إلى جهة مجهولة حتى الآن، فرحمه الله رحمة واسعة ورضي عنه.

أهّله ليشق طريقه في الدعوة بصبر وثبات ومثابرة قَلّ نظيرها في عصره ومصره، فتحدثت في هذه الصفات العظيمة، وبينت أن عظمة الرجل نبعت من تلك الصفات والخلال.

وأصل هذه الرسالة بحث ألقيته في دمشق في ندوة عن النورسي، وحدث أثناء الندوة أن أفاض شيخان في الحديث عن النورسي في مبالغة لم أرضها حتى عَدّه واحد منهما أنه المجدد الأوحد في القرن الرابع عشر، فلما وصل الكلام إليّ بينت أن الرجل كان درة في عقد فاخر، وأنه أحد المجددين العظام الذين كان منهم في القرن الماضي جماعَة وافرة، منهم الأستاذ أبو الأعلى المودودي، والأستاذ أبو الحسن الندوي، والأستاذ الإمام الشهيد حسن البنا رحمهم الله جميعًا، وبعد الندوة قال لي أحد المنظمين للندوة: ماذا صنعت؟ إن اسم البنا لم يذكر في دمشق علانية منذ ثلاثين سنة أي منذ الأحداث المشئومة في حماة سنة ١٤٠١-١٤٠٢هـ/ ١٩٨١-١٩٨٢م، فقلت: إني نطقت بما أعتقده، فإن لامك أحد فقل: هذا رأي الضيف ولا يلزمنا من تبعات ذلك شيء!!

هذا وقد فرغت من تصنيف الكتاب سنة ١٤٢٧/ ٢٠٠٦.

الرسالة الثالثة: «الصفات والخصائص التي أبرزت الإمام يوسف بن تاشفين»:

يوسف بن تاشفين المرابطي(١) كان رحمة من الله تعالى لأهل المغرب

(١) هو أبو يعقوبَ يوسف بن تاشفين بن إبراهيم الصنهاجي الحميري اللمتوني، أمير المسلمين، وأمير المرابطين.

ولد بصحراء موريتانيا سنة ٤٠٠ هـ تقريبًا، وقيل بعد ذلك. كان الفقيه المجاهد عبد الله بن ياسين قد جمع حوله جماعة من الناس، وجعل همها الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكانوا يتلثمون ولا يكشفون وجوههم فلقبوا بالملثمين، وقد ساعده في الجهاد أمير من أمراء البربر يُدعى يحيى بن عمر اللمتوني، فلما قتل تولى أخوه أبو بكر بن عمر مكانه، الذي شُغل بحرب الوثنيين في الصحراء فولّى ابن عمه يوسف بن تاشفين مكانه حتى يعود، فلما عاد وجَد أن يوسف قد =

والأندلس، فقد أنقذ مسلمي الأندلس في عدد من المعارك الكبرى وعلى رأسها الزلاقة، وأخّر سقوط الأندلس أربعة قرون، وعمل أعمالاً جليلة في الأندلس والمغرب، وجمع المغرب لأول مرة في دولة واحدة تمتد من الجزائر إلى حدود مالي واجتهد في كل ذلك اجتهاداً عظيمًا -أحسبه كذلك والله حسيبه- وكانت له شمائل وخلال وصفات أهّلته لهذا الأمر، وسهلت عليه ذلك العمل الجليل، وفي تلك الرسالة وضحت هذه الصفات والخلال والشمائل، وجمعتها من بطون كتب متفرقة شذرات لا تفي بالغرض، وأحسب أن الرجل قد ظلم فلم يُوف حقه من الترجمة الواسعة المفصلة، لكن عادة أهل مصره في عصره كانت عدم العناية بالتراجم، ودولة المرابطين كانت دولة عقيدة وجهاد وتقشف وزهد ولم تكن دولة ثقافة وفكر على الوجه الذي تُبرز به الأحداث مؤرخة مصنفة، ولو كانت كذلك لظفر الناس بسيرة يوسف بن تاشفين في مجلدات!!

التفّ الناس حوله لصفات فيه جليلة فنزل له عن الرئاسة وخلع نفسه منها، وحكم يوسف بن تاشفين المغرب أكثر من خمسين سنة. أنشأ البطل المجاهد يوسف مدينة مَرّاكُش وجعلها عاصمة ملكة سنة ٤٦٥ هـ، وقيل إن الذي بدأ إنشاءها ابن عمه الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني وجاء يوسف بعده فأتم بناءها.

وحد المغرب الأوسط والأقصى في دولة واحدة من الجزائر إلى طنجة إلى مَرّاكُش إلى ما يعرف اليوم بدولة مالي، وصار المغرب دولة سنية بعد أن تنازعه أصحاب الأهواء والمذاهب الباطلة والعقائد الفاسدة. وكانت هذه هي المرة الأولى التي يجتمع فيها أكثر المغرب الأوسط والأقصى في دولة واحدة.

استنجد به أمراء الطوائف في الأندلس ضد النصارى فأنجدهم وانتصر على النصارى في معركة عظيمة هي الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ/ ١٠٨٧م. وبعد ذلك جمع الأندلس والمغرب في دولة واحدة ضخمة عاصمتها مراكش.

ولّى ابنه عليًا ولاية العهد من بعده، وكان لابنه أياد بيضاء في الجهاد. توفي البطل المجاهد يوسف ابن تاشفين سنة ٥٠٠ هـ ودفن في مراكش رحمه الله تعالى، وقبره فيها اليوم معروف. وقَلّ من ملوك الإسلام من عُمّر مثل ما عُمّر مع جلالة العمل وعظم الجهاد.

ثم إن دولة الموحدين التي ورثت دولة المرابطين عملت على تشويه سيرته وهدم أعماله، إضافة إلى ظلم الإسبان من المستشرقين والكنسيين له لأنه حطم آمالهم في السيطرة على الأندلس في زمانه، فعمدوا إلى تشويه سيرته تشويهًا ظالماً مجحفًا، لكن أرجو إن جهل حاله أهل الأرض أن يعرفه ملأ السماء، وأن يُستقبل في أعلى درجات عليين بحور على وجناتها نور، وبملائكة الحبور والسرور، وأن يجد من رضى الله عليه ما يتضاءل معه سخط الظالمين له.

وأصل هذه الرسالة بحث كتبته لمؤتمر في تاريخ المرابطين عُقد في بلدة العيون بالمغرب الأقصى، ولما جئت المؤتمر وجدت أن أكثر الحاضرين هم من أساتذة التاريخ الذين اعتادوا ألا يجعلوا للإسلام وشريعته وجلال رجاله نصيبًا كبيراً في بحوثهم، وبعضهم لا يذكر كل ذلك أبدًا، وفي هذا المؤتمر ظل أكثر الباحثين يدورون حول آثار المرابطين العمرانية والحضارية ويربطون ذلك بقول فلان من الغربيين الإسبان أو الفرنسيين، فصعب عليّ هذا الأمر ولم أرضه، فلما حان وقت حديثي عن البحث قلت لهم:

إن المرابطين كونوا دولة عظيمة إسلامية قلبًا وقالبًا، ظاهراً وباطنًا، كانت تُساس بالشريعة وتحكم بأوامرها، ويوسف بن تاشفين هو أول من يذعن للشرع وأحكامه -فيما نحسبه والله حسيبه- وليس لنا عزّ اليوم ولا مجد إلا بالعودة لنلتزم بالإسلام كما التزمه المرابطون، وبتحكيم شرعه كما حكّمه المرابطون، وبالجهاد لإقراره في الأرض كما جاهد المرابطون، وأفضت في مثل هذا المعنى لحاجة في نفسي ألا وهي إيقاظ نفوس الحاضرين، ودلالتهم على المقصد الأهم من البحوث العلمية وهو الهداية والرشاد وبناء المجتمع على أسس إسلامية قويمة.

هذا وقد فرغت من تصنيف هذه الرسالة سنة ١٤٣١/ ٢٠١٠.

• المبحث السادس:

التأليف في العلوم الشرعية

قد ألفت مجموعة من كتب العلوم الشرعية وملحقاتها -بفضل الله تعالى ومنته- من ذلك:

١- علوم القرآن:

- «**إعجاز القرآن الكريم بين الإمام السيوطي والعلماء**» وهو رسالة علمية أُهلت بها لنيل درجة الدكتوراه من قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، والرسالة تبحث في كتاب الإمام السيوطي[1] «**معترك الأقران في إعجاز القرآن**» دراسة ونقدًا ومقارنة.

وفي هذا الكتاب الضخم ذي المجلدات الثلاثة الكبيرة أثبتُّ أن الإمام السيوطي استقى أكثر مادته من كتبه الأخرى وعلى رأسها «الإتقان في علوم القرآن» ومن كتب مصنفين آخرين، وأن الكتاب إذا أريد معرفة الجديد فيه فإنما هو صفحات معدودات من الصفحات الألفين التي ألّفت الكتاب!!

- وحققت ودرست كتاب «**التلخيص في القراءات الثمان**» للإمام عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري[2]، وهو ما أهلني لنيل رسالة الماجستير من القسم نفسه الذي ذكرته آنفًا.

---

(١) هو الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن محمد السيوطي المصري. كان عالمًا مجتهدًا، وجرى بينه وبين علماء عصره خلافات كثيرة بسبب دعواه الاجتهاد. توفي في القاهرة سنة ٩١١هـ رحمه الله تعالى. انظر: «شذرات الذهب» ٨/ ٥٥.

(٢) هو عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد القطان الطبري الشافعي. عالم بالقراءات مؤرخ لرجالها. كان شيخ مكة المكرمة وتوفي بها سنة ٤٧٨ رحمه الله تعالى. له عدة كتب. انظر «الأعلام»: ٤/ ٥٢.

- وألفت كتاب «**مجموع فتاوى القرآن الكريم من القرون الأولى إلى القرن الرابع عشر**» أوردت فيه جملة كبيرة من فتاوى العلماء المتعلقة بالقرآن الكريم على مدار القرون الأربعة عشر الهجرية، فجمعتها من بطون الكتب وقسمتها بحسب النظائر، وحققتها.

هذا وقد فرغت من الكتاب سنة ١٤٢٤/ ٢٠٠٣.

- وقد اختصرت هذا الكتاب في مجلد واحد «**مختصر الفتاوى المتعلقة بالقرآن الكريم لمدارس وطلاب الحلقات القرآنية**» بعد أن كان في ثلاثة مجلدات ليكون منهجًا لحلقات القرآن الكريم.

- ومن كتب علوم القرآن التي ألفتها كتاب «**القواعد القرآنية**»:

وفيه أوردت ما ورد في القرآن العظيم على هيئة قواعد عامة كقول الله تعالى: ﴿**إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ**﴾ [آل عمران: ١٦٠].

وكقوله تعالى: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَن يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ [الإنسان: ٣٠].

وكقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١].

وكقوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى: ١١].

وكقوله تعالى: ﴿**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ [محمد: ٧].

إلى آخر ما أوردته من قواعد مقسمًا لها حسب موضوعاتها، جامعًا النظير إلى مثله.

- **ومن كتب علوم القرآن التي صنفتها كتاب «جهود العلماء في بيان إعجاز القرآن العظيم»:**

هذا الكتاب جعلته مدخلاً موجزًا للتعريف بالإعجاز ووجوهه، بحيث إن قارئه سيقف -إن شاء الله تعالى- على موجز مفيد في كل نواحي الإعجاز كالتعريف به والوجوه المختلفة للإعجاز كالإعجاز اللغوي والعلمي والتشريعي، وتعريف بأهم كتب الإعجاز، وقد ناقشت في الكتاب بعض القضايا المهمة المتعلقة بالإعجاز العلمي والتشريعي خاصة.

- ومن كتب علوم القرآن التي كتبتها كتاب «**هذا هو القرآن العظيم**»:

فهذا كتاب شاملٌ لمباحثَ مهمة في كتاب الله تعالى العظيم: القرآن الكريم، ففيه أنواع من علوم القرآن، وفيه مباحث عن هداية القرآن وتأثيره في النفوس، وفيه بعض قصص مَن أسلموا بسبب القرآن الكريم، وفيه مبحث عن الإعجاز القرآني، وفيه واجبنا نحو القرآن العظيم، وفيه مباحث أخرى متنوعة.

هذا وقد أردت من كتابته أمورًا، منها:

أولاً: أن أُسلك في سلسلة مَن كتب في علوم القرآن، وأُنظم في عقْد من بيّن شيئًا من مباحث الفرقان، فإن هذا -والله- هو الشرف العظيم، والفخر الكبير، الذي أرجو به أن أكون من أهل الخيرية الذين شُرِّفوا بقوله ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلّمه**»[1].

ثانيًا: كتابة شيء يكون كالمعجم، نافعٍ لكل من أراد أن يعرف شيئًا عن كتاب

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

الله -تعالى- بحيث يستطيع المرء الوقوف على ما يريد سريعًا -إن شاء الله تعالى- وهذا ما لم أره قد صُنع من قبل على هذا الوجه.

ثالثًا: أطمع أن يكون هذا الكتاب جزءًا من المنهج الثقافي لطلاب حلقات تحفيظ القرآن، فما أحوج هؤلاء لمعرفة أنواع من علوم القرآن وبعض مباحثه على وجه سهل ميسور.

هذا وإني قد أتيت ببعض مباحث من علوم القرآن وتركت أخرى، وذلك لأسباب منها:

أ- ليس موضوع هذا الكتاب هو علوم القرآن فقط، إنما علوم القرآن جزء من الكتاب.

ب- ولهذا فإن هذا الكتاب ليس كتابًا شاملاً لكل علوم القرآن إنما هو في أهمها -في ظني، والله أعلم- فلم يكن من غرضي الاستقصاء.

جـ- هنالك مباحث في علوم القرآن لا تصلح لعامة القراء بل للمتخصصين فقط، وقد أردت من وضع هذا الكتاب أن يكون نافعًا للمبتدئ، وتذكرة للمنتهي، ويجد كل منهما فيه ما يمتعه ويفيده، إن شاء الله تعالى.

د- أردت أن أوجز - ما استطعت إلى الإيجاز سبيلاً- لعلمي أن أكثر أهل العصر لم يعودوا يستطيعون ولا يستسيغون قراءة المطولات، وهم عنها بمعزل، كما هو مشاهد معلوم.

إذن ليس هذا الكتاب شاملاً لكل المباحث والعلوم القرآنية، فمن لم يجد فيه ضالته فعليه بكتب علوم القرآن فهي كثيرة جدًا، وأنصحه إن كان من أهل العلم

الشرعي بكتاب «الإتقان في علوم القرآن» للإمام السيوطي، وبكتاب «البرهان في علوم القرآن» للإمام الزركشي، فهما أجود ما صنفه الأقدمون في هذا العلم.

وإن لم يكن من أهل العلم الشرعي فعليه بثلاثة كتب نافعة:

«مناهل العرفان في علوم القرآن» للشيخ محمد بن عبدالعظيم الزرقاني المصري[١]، والشيخ الدكتور صبحي الصالح اللبناني[٢] وكتابه «مباحث في علوم القرآن»، وكتاب الشيخ مناع القطان[٣] المصري ثم السعودي «مباحث في علوم القرآن» أيضًا، ففي كل تلك الكتب منفعة عظيمة وعلم جليل، والله تعالى أعلم.

٢- السيرة النبوية:

وقد ألفت فيها ثلاثة كتب هي:

«ضوابط منهجية في عرض السيرة النبوية»:

وفي هذا الكتاب أوردت بعض الضوابط المنهجية التي لا بد منها في عرض السيرة النبوية، ومن أهم ما أوردته هو كيفية قبول الأخبار المروية في كتب ثقات

---

(١) محمد بن عبد العظيم الزرقاني: من علماء الأزهر بمصر وعضو هيئة كبار العلماء. تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسًا لعلوم القرآن والحديث. وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٨م رحمه الله تعالى. من أهم كتبه «مناهل العرفان في علوم القرآن». انظر «الأعلام»: ٦/ ٢١٠.

(٢) أستاذ عالم لبناني، قتل في الحرب اللبنانية سنة ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦م رحمه الله تعالى.

(٣) أستاذ مصري معروف، وداعية حصيف. شارك في الجهاد ضد الانجليز في فلسطين ومصر، وكان رئيسًا لاتحاد الطلاب بكلية أصول الدين. انتقل من مصر إلى المملكة سنة ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٣م ليدرّس في كلية الشريعة في الرياض. وكان مديرًا للمعهد العالي للقضاء. وبقي في المملكة إلى أن توفي بها -رحمه الله تعالى- سنة ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م. له عدد من المصنفات النافعة. انظر ويكيبيديا على شبكة المعلومات «الإنترنت».

المصنفين الأوائل في السيرة ولو لم تكن صحيحة على طريقة أهل الحديث، وبينت مذهبي في ذلك ودلّلت له، وأوردت حجج المخالفين وفندتها.

ومن أهم ما أوردته في الكتاب -أيضًا- الرد على العقلانيين العصريين الذين يحاولون تأويل كل معجزة لا توافق عقولهم بما لا يُقبل من التأويل، وأوردت أمثلة على هذا.

هذا وقد فرغت من تصنيف الكتاب سنة ١٤٢٩/ ٢٠٠٨.

- كتاب **«جهود المؤرخين المحدثين في تدوين السيرة النبوية»**:

وفي هذا الكتاب اخترت مجموعة من مشهوري المؤلفين في السيرة النبوية في القرن الفائت وبينت مناهجهم بإيجاز، ونقدتها بما أرى أنه كان كافيًا في بيان مواطن الجلال والعوار، أو النقص الذي هو مستولٍ على سائر البشر.

والكتاب الثالث هو «العلاقة بين النبي ﷺ والخلفاء الراشدين» وهو في أصله بحث قُدِّم إلى مؤتمر «مبرة آل البيت والأصحاب» الذي انعقد في الكويت.

٣- كتب الحديث الشريف:

- ومن كتب العلوم الشرعية التي صنفتها أيضًا: **«إنصاف الإمام ابن حجر رجالَ الإمام البخاريّ في صحيحه»**:

قد روى الإمام البخاري(١) عن رجال ثقات عظماء، وروى عن رجال مختلف في شأنهم، فعمد الحافظ ابن حجر(٢) لجمع هؤلاء الرجال في مقدمة

---

(١) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي، بالولاء، أبو عبد الله البخاري، جبل الحفظ وإمام الدنيا في فقه الحديث. توفي سنة ٢٥٦هـ وله ٦٢ سنة رحمه الله تعالى. انظر: «تقريب التهذيب»: ٤٦٨.

(٢) أحمد بن علي بن محمد، الأستاذ، أبو الفضل الكناني العسقلاني المصري الشافعيّ. ويعرف بـ (ابن حجر) وهو لقب لبعض آبائه. ولد سنة ٧٧٣هـ بمصر العتيقة، ونشأ بها يتيمًا. وحفظ بعض=

كتابه «فتح الباري» المسماة «هدي الساري»، وفَنّد كل ما قيل فيهم وأنصفهم غاية الإنصاف، فجمعت أهم ما كتبه الحافظ في هذا الباب، وأودعته كتابي هذا بإيجاز لأبين أن منهج الموازنة بين الحسنات والسيئات عند سلفنا منهج معتبر، ولولاه لأُهدر رجال كثيرون، وأردت منه أن أرد على نابتة في عصرنا زعمت بدعية منهج الموازنة هذا وأقامت الدنيا ولم تقعدها على من فعل هذا.

هذا وقد فرغت من الكتاب سنة ١٤٣٠/ ٢٠٠٩.

- ومثله كتاب آخر ألفته في بيان إنصاف الإمام الذهبي رجال الحديث في كتابه الفذّ «سير أعلام النبلاء» وهو **«إنصاف الإمام الذهبي الرجالَ المختلف في شأنهم مستخرجًا من كتابه سير أعلام النبلاء»**.

هذا وقد فرغت من الكتاب سنة ١٤٣٠/ ٢٠٠٩.

٤- ومن كتب العلوم الشرعية أيضًا كتاب **«حقوق آل البيت والصحابة رضي الله عنهم»**:

وأصل هذا الكتاب بحث تقدمت به إلى مؤتمر عُقد في الكويت بإشراف «مبرة آل البيت والأصحاب» لبحث حقوق آل البيت والصحابة - رضي الله عنهم جميعًا- وتقريرها وبثها في عقول وقلوب المسلمين.

وفي هذا الكتاب بينت أن من أعظم حقوق الصحابة -رضي الله عنهم جميعًا- حبهم، وتعظيمهم، والكف عن ذكر ما حدث بينهم تمامًا، والاعتقاد الجازم بأن الله -تعالى- اختارهم على علم على العالمين لصحبة نبيه الأعظم ﷺ وارتضاهم له، وأن الطاعن فيهم مرتكب لكبيرة من أكبر الكبائر.

= المنظومات، وأخذ على كثير من المشايخ، وجَدّ في الفنون حتى بلغ الغاية. وولي بعض وظائف الدولة من حسبة وقضاء وإمامة. وله العديد من المصنفات النافعة المشهورة. توفي - رحمه الله تعالى- سنة ٨٥٢ هـ. انظر «الضوء اللامع»: ٢/ ٣٦-٤٠.

وكذلك بينت أن الناس في آل بيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على طرفين ووسط فمن جاف غامط لحقهم مفرّط في حبهم، ومن مغال مُفْرط يكاد يرفعهم إلى مصاف الأنبياء والمرسلين، والوسط هو حبهم وتعظيمهم بدون غلو ولا إفراط، وأحسن الحب هو حب السلف لآل البيت فقد كان حبًا منضبطًا بضوابط الشريعة، وفي الوقت نفسه هو حب مليء بالعواطف والأشواق.

هذا وقد فرغت من الكتاب سنة ١٤٣٠/ ٢٠٠٩.

- ومن الكتب أيضًا كتاب «**العلاقة بين الصحابة وآل البيت**».

- وكتاب «**خصائص العبادة عند الصحابة والصدر الأول**».

وقد فرغت من تصنيفه سنة ١٤٣٢/ ٢٠١١.

- وكتاب «**علاقة الخلفاء الراشدين بالنبي ﷺ**».

وقد فرغت من الكتاب سنة ١٤٣٥/ ٢٠١٤.

وكل هذه الكتب الأربعة أصولها أبحاث قدمت لمبرة آل البيت في مؤتمراتها المنعقدة بالكويت.

٥- ومن الكتب الملحقة بالعلوم الشرعية الكتب التي تُعنى باللغة والأدب وهي تسمى بعلوم الآلة، أي الآلة التي توصلنا إلى فهم الكتاب والسنة، وقد ألفت - بفضل الله تعالى- كتابين في هذا الباب:

- كتاب «**اللطائف والنوادر**» وهو يحكي نوادر ولطائف من زمن السلف إلى يومنا هذا، وهو ما يسميه الناس «النكت».

- وكتاب «**معجم التراكيب والمصطلحات والأمثال**» وهو كتاب يضم بين دفتيه مجموعة من التراكيب والمصطلحات والأمثال يعرفها الناس ويتداولونها لكن أكثرهم لا يعرف معناها، فمن ذلك قولهم: «**في غضون ذلك**» ويقصدون في أثناء ذلك، ويكثر ورود هذا التعبير في نشرات الأخبار، لكن ما معنى كلمة غضون؟

ومن ذلك قولهم: «**وعند جُهينة الخبر اليقين**» فمن هي جهينة هذه، وما هو الخبر الذي عندها، وهكذا...

هذا وقد فرغت منه سنة ١٤١٩/ ١٩٩٩.

●●●

• المبحث السابع:

الرسائل التي كان أصلها شريطًا مسموعًا وفُرِّغت

هناك بعض الرسائل التي نُشرت وكان أصلها محاضرات مسجلة مسموعة، ولم أكن راضيًا عن هذا المنهج لأسباب عديدة، إلا أن الناشر رغب في هذا وألحّ عليّ لما يرى في ذلك من فائدة، ففُرِّغت ستة أشرطة لتراجم ستة من الأعلام وهم: الحسن البصري، والأمير عبدالكريم الخطابي، وعمر المختار، وابن باز، وعبدالحميد بن باديس، وصلاح الدين الأيوبي، وقد كتب الله لها شيئًا من القبول والانتشار إلا أني صممت ألا أعود إلى هذا أبدًا إن شاء الله، وسبب ممانعتي أن المتكلم بشيء ربما يصْعب عليه سرد ما يريده على وجه سلس، مرتب بعضه إثر بعض، وربما أعاد بعض الكلام، وربما أتى باللوازم التي تكثر في كلام الناس مثل: يعني، وفي الحقيقة... إلخ، وربما كان السرد ضعيفًا أو مفككًا، فإذا فُرِّغت المحاضرة في أوراق ظهر بالسرد من الضعف شيء كثير أو قليل، وهذا ما لا أرضاه لنفسي ولا يسرني أن يُنسب لي، وقد عكفت على إصلاح هذه الرسائل الست وعانيت في ذلك ما عانيته حتى أنني قررت ألا ألجأ إلى مثل هذا بعد ذلك، ورأيت أن استئناف كتابة جديدة أسهل عليّ من مكابدة عناء التصحيح والتغيير.

ولو أردت تفريغ كل محاضراتي في كتب لجاءت في مئات الرسائل والكتب، ولكن هذا العمل يضيع الزمان ولا أرى فائدة كبيرة منه؛ إذ المحاضرات مسموعة محفوظة وكثير منها مرئي، فما الفائدة الظاهرة التي تعود على الناس لو فُرغت هذه المحاضرات في رسائل؟! فأرى عدم تضخيم المكتبة الإسلامية بتفريغ الأشرطة ونقلها إلى كتب ورسائل بل لكل مسار لا يحسن أن

يجور أحدهما على الآخر، فللتأليف مسار لا يحسن أن يحول كثير منه إلى مسموع، وللمحاضرات مسار لا يحسن أن يحول إلى مكتوب فتثقل به المكتبة الإسلامية في غير طائل، والله أعلم.

نعم لو كان في المحاضر علة في لسانه أو عجمة ظاهرة أو أن المحاضرة قديمة والصوت غير صاف فيمكن التفكير في نقل المهم من تلك المحاضرات إلى كتب ورسائل، لكن غير ذلك هو مما لا أرى فائدته، والله المستعان.

●●●

• المبحث الثامن:

المقالات المجموعة

قد كتبت طوال سنين مقالات كثيرة في شؤون عديدة في الجرائد والمجلات وموقع التاريخ -الذي أُشرف عليه- وغيره، فعمدت إلى بعض تلك المقالات فجمعت النظائر وقسمتها على موضوعات، وأفردت كل موضوع برسالة صغيرة مما يعرف برسائل الجيب، فكان من ذلك:

١- بر الوالدين.

٢- القرآن الكريم: فضله وأهميته.

٣- العلم: أهميته وفضله.

٤- رمضان: شهر العبادة والنصر.

٥- المرأة شئون وشجون.

ويحسن بأهل العلم والثقافة والفكر أن يجمعوا مقالاتهم من بطون الكتب والمجلات والجرائد ويودعوها في كتب، وهذا مفيد في أمرين اثنين:

الأول: حفظ تلك المقالات وصيانتها من الضياع خاصة إن كُتبت على مدار سنوات طويلات.

الأمر الآخر: أن بعض العلماء والمفكرين كتب مقالات في غاية من النفاسة ليست بعدها غاية، ويُعد بعضها مفتاحًا لتأليف كتب، بمعنى أن بعض ما فيها من أفكار صالح لتأليف كتب، فعرض تلك المقالات على الناس مجموعة مقسمة مرتبة لهو عمل من أجلّ الأعمال وأعظمها، والله أعلم.

- جمع بعض المقالات المهمة لبعض علماء الأمة:

هناك كتب جمعت فيها بعض المقالات المهمة في موضوعات محددة؛ وذلك لأهمية كاتبيها، وجلالة مصنفيها، فمن ذلك كتاب «**مقالات الإسلاميين في شهر رمضان الكريم**» وهو كتاب جامع لمقالات علماء كثيرين في شهر رمضان الكريم منذ زمن السلف إلى عصرنا الحاضر، فقمت بجمعها وتقسيمها إلى نظائرَ تندرج تحت موضوعات محددة، وأودعتها في كتابي ذلك مقسمًا لها ومفهرسًا لموضوعاتها.

هذا وقد فرغت من الكتاب سنة ١٤٢٢/ ٢٠٠١.

ومن ذلك كتاب «**المقالات النفيسة في الحج إلى مكة المكرمة والمدينة الشريفة**» وهو كذلك جامع لبعض مقالات العلماء في الحج منذ زمن السلف إلى زمننا هذا.

هذا وقد فرغت من الكتاب سنة ١٤٢٠/ ٢٠٠٠.

وكتاب «**مقالات في القرآن العظيم**» جمعت فيه مقالات في القرآن العظيم لعلماء السلف والخلف ودعاة ومثقفين.

وبعض تلك المقالات - في الكتب المذكورة آنفًا- أوردتها كما هي، وبعضها اختصرتها وهذبتها لطولها أو لسبب آخر.

●●●

• المبحث التاسع:

كتب جديدة أعدها للنشر

وأما ما أشتغل به الآن من تصانيف فهو الآتي:

١- ذكرياتي:

وقد قسمت الحديث فيها إلى ثمانية أقسام:

القسم الأول: رحلاتي الكثيرة في أرجاء الأرض منذ أكثر من ثلث قرن إلى الآن ١٣٩٩-١٤٣٨ هـ، ١٩٧٩-٢٠١٧م، وقد قاربت على الانتهاء منه ودفعه للطباعة إن شاء الله تعالى.

والقسم الثاني: الرجال الذين قابلتهم منذ أكثر من ثلث قرن إلى الآن من العلماء وطلبة العلم والدعاة والفضلاء، منهم مَن هم مشايخي وأساتذتي وموجهيَّ، ومنهم مَن هم أقران لي وأتراب، ومنهم من هم تلاميذ ومحبون وطلاب، وقد تحدثت فيهم بإيجاز إلا قليلاً منهم فقد أطلت النَفَس في سرد ما أعرفه عنه لأسباب تربوية ودعوية، وهذا ما زال قيد الإعداد، عجل الله بخروجه.

والقسم الثالث: سرد حياتي، والمنعطفات الكثيرة التي مررت بها، وما أثر فيَّ طويلاً وكثيراً، وكيف سلكت دروب هذه الحياة، وهذا الذي كنت أظن أنه سيتأخر خروجه، لأسباب عديدة.

القسم الرابع: مذكرات طيار: وهو خاص بوظيفة الطيران التي ابتليت بها منذ سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م إلى يومنا هذا: ١٤٣٨ هـ/ ٢٠١٧م.

القسم الخامس والسادس والسابع والثامن: هو على التوالي: «رحلتي في

القـراءة» و«رحلتي في طلب العلـم» و«رحلتي في التـدريس» وهـذه الرسـالة: «رحلتي في التأليف».

وليست الأقسام هذه على ترتيب ذكرها هاهنا، بل ما تيسر إخراجه أولاً أخرجته برقم راعيت فيه ترتيب زمان خروجه فقط وليس لأي اعتبار آخر موضوعي.

٢- الصحوة: تاريخًا وتقويمًا:

وهو كتاب ضخم، يحكي قصة الأمة قبل الصحوة وبعدها، في الجوانب الدينية والسياسية والاجتماعية والإعلامية والاقتصادية وغيرها، وهو مهم جدًا، وأهميته وجلالته منبعثة من كونه يبث الأمل في نفوس الشباب الذين لم يدركوا المدة المظلمة التي كانت قبل الصحوة الجليلة أواخر القرن الهجري الماضي/ سبعينيات القرن الميلادي الفائت، فكثير من هؤلاء الشباب يظنون أنهم يعيشون الآن في مدة صعبة وأحوال بئيسة فكيف لو عاشوا قبل الصحوة ورأوا الإسلام ودعاته في زاوية قصيّة، والغلبة لرايات الجاهلية من قومية وناصرية وعروبة وبعثية فماذا كانوا قائلين إذن؟! هذا والمسلمون الصالحون اليوم -بفضل الله تعالى- ملء السمع والبصر، والبشائر تأتيهم من كل جهة وفي كل وقت، ولله الحمد والمنة، فأردت من هذا الكتاب المقارنة بين المدتين: قبل الصحوة وبعدها؛ ليظهر عظَم ما نحن فيه من خير، وما نحن مقبلون عليه من تمكين قريب، والله المستعَان.

وكذلك أردت التأريخ لبداية الصحوة وأحداثها الجليلة، ثم تقويم كل ذلك بميزان شرعي قويم، إن شاء الله تعالى.

٣- تلخيص لمجلة المنار:

وهي مجلة الأستاذ رشيد رضا الشهيرة التي كانت ملء السمع والبصر، وقد كانت لسان حال المسلمين أينما كانوا في كل أرجاء المعمورة، وفضائلها عديدة، ومنافعها كثيرة، وهي سجل للأحداث التي حدثت في مدة أربعين سنة تقريبًا هي مدة صدورها منذ سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٨م وهي ديوان جامع لا غنى عنه للدعاة والمثقفين.

وقد فرغت إلى الآن من ثلاثين مجلدًا من أصل ٣٥ مجلدًا، وأرجو من الله - تعالى- أن يفسح لي في الأجل، ويمد في المدة لأتمكن من إكمال هذه المجلة وما أريده من مشاريع في المستقبل وأعمال هي الآن أقرب إلى الأماني والآمال.

٤- كتاب «الآثار الثقافية والحضارية للإعجاز»:

وهذا كتاب أردت منه بيان أن الإعجاز له آثار ثقافية وحضارية مهمة، وقد ناقشت في الكتاب قضية مهمة ألا وهي أنه قد آن الأوان لأن يكون للمسلمين اكتشاف لأوجه الإعجاز في كتاب الله -تعالى- وسنة رسوله ﷺ لا أن يبقوا عالة على الغرب والشرق في أبحاث الإعجاز، فالغرب هو الذي اكتشف الطائرات والصواريخ ومِن ثَمّ عرفوا أن صدر المرء ينقبض إذا صعد في الفضاء لقلة الأكسجين ومن ثم عرفنا عن وجه الإعجاز في قوله تعالى: ﴿ **فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ** ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وكذلك الإعجاز في قوله تعالى: ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ [الرحمن: ١٩، ٢٠] فليس لنا فضل في هذا الاكتشاف، وكذلك علم الأجنة والفلك إلى آخر المكتشفات الكثيرة التي لم يكن لنا فيها يد واعتمدنا فيها على الآخرين، فقد حان الوقت لنستكشف بأنفسنا ما في الوحيين من نصوص تحمل وجوهًا إعجازية، ومِن ثَم نظهر للعالم كله وجوهًا من الإعجاز اكتشفناها بفضل الله تعالى ثم بجهودنا، وقد بينت أن هذا الأمر قد بدأ في بعض المراكز البحثية وأرجو أن يؤتي أكله إن شاء الله.

وأرجو أن يمن الله تعالى عليَّ بإتمام الكتاب عما قريب، والله الموفق.

٥- كتب الذكريات:

أعكف الآن على كتب ذكريات العظماء لأهذبها وأخرجها إلى الناس على هيئة تمكنهم من قراءتها بيسر وسلامة -إن شاء الله تعالى- وهذه الكتب على قسمين:

- قسم اشتغلت فيه منفردًا مثل ذكريات د. معروف الدواليبي، وذكريات رئيس وزراء ليبيا مصطفى حليم، رحمهما الله تعالى.

- وقسم شاركت فيه بعض طلابي مثل ذكريات الأستاذ محمد عزت دروزة رحمه الله تعالى.

وستخرج هذه الذكريات تباعًا في سلاسل، قريبًا إن شاء الله تعالى.

٦- مجلة الرسالة:

وهي المجلة الأدبية الأولى في بلادنا العربية، أسسها الأديب البارع البليغ بل أمير البيان أحمد حسن الزيات سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م، وبقيت تصدر قرابة عشرين سنة، ثم توقفت، وفيها درر فاخرة كتبها أساتذة الأدب في مصر والشام والعراق وغيرها، فعمدت لإخراجها واصطفائها، وأرجو أن أنتهي من هذا العمل عما قريب، إن شاء الله تعالى.

●●●

● المبحث العاشر:

أفكار في التأليف

قد جرى بي قطار العمر جريًا لم أكن أحسب له حسابًا كافيًا، فوجدتني في عشر الستين قد نصّفتها تقريبًا[١]، وقد بقي في جَعبتي نبال، وفي كنانتي سهام، ولا والله لا أدري أأعيش حتى أقضي لُبانتي[٢] من الكتب تأليفًا وتهذيبًا واختصارًا أم تحتوشني المنون، أو أحجز عن ذلك والرغبة فيما هنالك بأنواع من الحجز الذي يجعلني أشبه بالمغبون، أو يحال بيني وبين مكتبتي بحائل من القدر المكنون، فالله أعلم بما يكون من ذلك؛ ولهذا فإني أشارك قراء كتابي هذا أماني إن لم أقدر على تحقيقها فلتتوجه إليها همة جماعة منهم، فمن ذلك:

١- اختصار وتهذيب النافع من الكتب الشرعية واللغوية والتاريخية، فإنه قد ثبت لديَّ بالتجربة والبرهان، وأحوال أهل هذا الزمان ضعف الأكثرية الكاثرة، والأغلبية الساحقة عن قراءة المطولات المبسوطات، فلنقرب إليهم من تراث سلفنا ما نقدر عليه، وما هو نافع لهم: الأهم فالمهم، والأولى فالأولى، وما أحسن هذا الصنيع وما أجمله، فقد فعله سلفنا العظيم أصحاب الهمم لأهل عصرهم الذين لا يقارنون بأهل عصرنا إلا كما يقارن الثرى بالثريّا، أفلا نصنعه نحن لأهل زماننا الذين قعدت بهم هممهم، وقصرت آمالهم وأعمالهم عن الوصول للمراتب الرفيعة العلية ؟!

وحبذا لو وقعت العناية البالغة بكتب التاريخ فهي الكنز المكنون، وقد ذكرت جملة منها في سلسلة كتب التاريخ التي صدرت بعنوان كيفية قراءة التاريخ

(١) العرب تقول عشر الستين وتريد بها العشر التي بكمالها يتم المرء الستين، أي أن عمره بين الخمسين والستين.

(٢) هي حاجتي.

وفهمه، لكني ها هنا أود الإشارة إلى كتب الذكريات ففيها جملة وافرة من المعلومات المهمة وفيها عبر وعظات كثيرة جدًا، وفيها أخبار لا تكاد توجد إلا فيها، فيا حبذا لو هذبت هذه الكتب أو اصْطُفي ما فيها من فوائد.

طريقة أخرى للاختصار:

وما أحسن أن تختار مجموعة كتابًا في كل علم يكون كالأصل لما بعده، وحبذا لو هذب هذا الأصل وانتقي أهم مسائله، ثم تؤخذ كل كتب هذا العلم فيُنظر فيما زادته الكتبُ على هذا الأصل فيضاف في هامشه أو متنه -على اختلاف المناهج في هذا- ليكون أصلاً للعلم يرجع إليه، ومثال هذا كتاب «الإتقان في علوم القرآن» للإمام السيوطي يُجعل أصلاً بعد تهذيبه -كما مرّ- ثم ينظر في الكتب التي صُنفت بعده، أما قبله فالحاجة إلى ذلك قليلة فالسيوطي جماعة ناقل لما في الكتب الأولى، ومثال تلك الكتب المتأخرة عنه: «مناهل العرفان» للشيخ الزرقاني، و«مباحث في علوم القرآن» للشيخ مناع القطان، و«مباحث في علوم القرآن» للدكتور صبحي الصالح وأمثال هذه الكتب فينظر ما فيها من زيادة ليست موجودة في الإتقان فيضاف عليه؛ ليصبح لدينا أصل جامع في علوم القرآن يرجع إليه طلبة العلم في جُل مسائل ذلك العلم إن لم يكن كلها.

٢- التأليف في المهم من مسائل الشريعة واللغة والتاريخ والدعوة وغير ذلك مما تمس الحاجة إليه:

كم ترك الأول للآخر، وكم من مسائل علمية ودعوية وتاريخية ولغوية تحتاج إلى بيان وتجلية، فيا حبذا لو يتصدر للتصنيف في كل ذلك لكن بشروط منها:

١- عدم التكرار.

٢- الإيجاز.

٣- مراعاة الأهم فالمهم.

٤- لا يكتب في رؤوس المسائل العظام إلا من قضى جزءاً من حياته كبيراً في خوض غمار تلك العلوم، وحبذا لا يكتب إلا من جاز الأربعين إلا في حالات استثنائية.

ولو سألني سائل: ولم كتبت وأنت في أول الثلاثينيات لقلت: إنني كتبت لقلة من كان يكتب آنذاك، وللحاجة التي قدرتها من وجود مسائل دعوية وتاريخية - وهذان هما العلمان اللذان بدأت الكتابة فيهما - لا بد من بيانها آنذاك، وأستغفر الله - تعالى - من الإقدام في موضع الإحجام، وعلى التطفل على تلك الموائد العظام، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

٣- الكتابة في التجارب الدعوية، وأحوال العاملين للإسلام، وإتباعها بالنقد والتقويم الهادفين إلى الإصلاح والتحسين، فإن ذلك مما يعود نفعه على العموم، والتأليف في هذا قليل لأسباب عديدة، فلتقم طائفة من الدعاة بهذا ولتنفر إليه فإنه أصبح من الحاجات التي لا غنى عنها، وأكثر ما كتب في هذا الباب يعتوره مرضان هما: الغلو في النقد أو الغلو في المدح، والله المستعان.

سرد مصنف للكتب التي ألفتها والتي أعملت قلمي فيها اختصاراً وتهذيباً

• المجموعة النسائية:

١- المرأة الداعية.

٢- المرأة شئون وشجون.

٣- مصطلح حرية المرأة بين كتابات الإسلاميين وتطبيقات الغربيين.

٤- حياء النساء عصمة وأنوثة وزينة.

٥- أختي المضيفة.

* المجموعة الدعوية:

٦- الثبات.

٧- عجز الثقات.

٨- التوريث الدعوي.

٩- أثر المرء في دنياه.

١٠- الهمة طريق إلى القمة.

١١- التقارب والتعايش مع غير المسلمين.

١٢- إنصاف الإمام ابن حجر العسقلاني الرجال المختلف في شأنهم في صحيح البخاري.

١٣- إنصاف الإمام الذهبي الرجالَ المختلف في شأنهم مستخرجًا من كتابه سير أعلام النبلاء.

١٤- نَحْوُ الدعاة.

١٥- مقياس العمل المؤثر.

● مجموعة السيرة:

١٦- ضوابط منهجية في عرض السيرة النبوية.

١٧- العلاقة بين النبي ﷺ والخلفاء الراشدين.

١٨- حقوق آل البيت والصحابة رضي الله عنهم.

١٩- جهود المؤرخين المحدثين في تدوين السيرة النبوية.

٢٠- خصائص العبادة عند الصحابة وآل البيت.

● المجموعة الإيمانية:

٢١- الأمن النفسي.

٢٢- العبادات القلبية وأثرها في حياة المؤمنين.

٢٣- أثر الدعاء في دفع المحذور وكشف البلاء.

٢٤- العاطفة الإيمانية وأثرها في الأعمال الإسلامية.

٢٥- تسبيح ومناجاة وثناء على ملك الأرض والسماء.

٢٦- عظمة الله تعالى وجل وعز.

● المجموعة القرآنية والفقهية:

٢٧- الاختيارات من كتاب الفروق للإمام القرافي.

٢٨- مجموع فتاوى القرآن الكريم.

٢٩- الفتاوى المتعلقة بالقرآن الكريم لمدارس وطلاب الحلقات القرآنية.

٣٠- التلخيص في القراءات الثمان.. للإمام عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري.. رسالة ماجستير.

٣١- إعجاز القرآن الكريم بين الإمام السيوطي والعلماء.. رسالة دكتوراه.

٣٢- هذا هو القرآن العظيم.

● مجموعة التطوير:

٣٣- الطرق الجامعة للقراءة النافعة.

٣٤- التنازع والتوازن في حياة المسلم.

٣٥- التدريب وأهميته في العمل الإسلامي.

٣٦- جدد حياتك (رسالة إلى مَن جاوز سن الأربعين).

٣٧- الثقافة الآمنة.

٣٨- الخطاب الإسلامي بين الواقع والمأمول.

٣٩- الجانب الفكري في شخصية المشتغلين بالعلوم الشرعية- العلوم القرآنية مثالاً.

● مجموعة الآفات:

٤٠- حصول الطلب بسلوك الأدب.

٤١- ظاهرة التهاون في المواعيد.

٤٢- الترف وأثره في الدعاة والصالحين.

٤٣- القدوات الكبار بين التحطيم والانبهار.

٤٤- أهل الإسلام والتفلت من ظاهر الالتزام.

٤٥- من مآسي الافتراق.. نماذج تاريخية ومعاصرة.

● المجموعة التاريخية:

٤٦- حال بلاد الشام في أوائل القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي.

٤٧- المختار من طبقات الشافعية الكبرى.

٤٨- استجابات إسلامية لصرخات أندلسية.

٤٩- مختصر مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس.

٥٠- نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء (القرن الأول إلى السابع).

٥١- المختار المصون من أعلام القرون (القرن الثامن إلى الثالث عشر).

٥٢- مختصر كتاب الروضتين في أخبار الدولتين: نور الدين وصلاح الدين.

٥٣- كيفية قراءة التاريخ وفهمه.

٥٤- إعداد المؤرخ الثقة.

٥٥- التراجم وأثرها في السلوك الإنساني.

٥٦- تعريف موجز بأشهر كتب التاريخ.

٥٧- الأخبار العليات من الوافي بالوفيات، للعالم الأديب صلاح الدين الصفدي.

٥٨- علماء آسيا الوسطى (تركستان) بين الماضي والحاضر.. ونبذة عن أهم مدن تركستان التاريخية.

٥٩- تهذيب رياض النفوس في طبقات علماء إفريقية والقيروان لأبي عبد الله المالكي.

٦٠- مختصر «الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى» للشيخ خالد الناصري.

٦١- دراسات تاريخية منهجية نقدية.

● مجموعة التراجم:

٦٢- الصواف بطل العراق.

٦٣- الصفات والخصائص التي أبرزت الإمام المجاهد يوسف بن تاشفين المرابطي.

٦٤- عمر المختار البطل المغوار.

٦٥- الشيخ عبد العزيز بن باز مثقفًا ومفكرًا.

٦٦- الحسن البصري الزاهد العارف.

٦٧- عبد الحميد بن باديس داعية الجزائر.

٦٨- صلاح الدين الأيوبي قاهر الصليبيين.

٦٩- محمد عبد الكريم الخطابي بطل من الريف.

٧٠- عبدالعزيز بن باز.

٧١- مختصر الفتح المواهبي في مناقب الإمام الشاطبي.

٧٢- عظماء منسيون في التاريخ الحديث١/ ٤.

٧٣- الصفات التي أنضجت دعوة النورسي وفكره.

٧٤- مجاهدون منسيون.

● مجموعة اللغة والأدب:

٧٥- اللطائف والنوادر.

٧٦- الشوق والحنين إلى الحرمين الشريفين.

٧٧- الاختيارات من مجلة معهد المخطوطات.

٧٨- قصص وطرائف في الحج من القرون السوالف.

٧٩- معجم المصطلحات والتراكيب والأمثال المتداولة.

● المجموعة الخاصة:

٨٠- مذكرات طيار.

٨١- رحلتي مع القراءة.

٨٢- رحلتي في طلب العلم.

٨٣- رحلتي في التأليف.

٨٤- رحلاتي.

● **المقالات المجموعة في كتيبات:**

٨٥- بر الوالدين.

٨٦- القرآن الكريم فضله وأهميته.

٨٧- العلم أهميته وفضله.

٨٨- رمضان شهر العبادة والنصر.

٨٩- وصايا ونصائح إلى الملاحين الجويين.

٩٠- المرأة شئون وشجون.

● كتب المقالات المجموعة:

٩١- مقالات الإسلاميين في شهر رمضان الكريم.

٩٢- المقالات النفيسة في الحج إلى مكة المكرمة والمدينة الشريفة.

٩٣- مقالات في القرآن العظيم.

● مجموعة كتب الرحلات:

٩٤- المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة النبوية.

● كتب تعد للطبع:

٩٥- تهذيب مجلة المنار للأستاذ محمد رشيد رضا.

٩٦- الصحوة الإسلامية تاريخًا وتقويمًا.

٩٧- الاختيارات من مجلة «الرسالة».

٩٨- مختصر مذكرات محمد عزت دروزة.

٩٩- مختصر مذكرات مصطفى بن حليم رئيس وزراء ليبيا الأسبق.

١٠٠- مختصر مذكرات د. محمد معروف الدواليبي رئيس وزراء سوريا الأسبق.

١٠١- رحلتي في التدريس.

١٠٢- شرح كتاب التحبير في علم التفسير للإمام السيوطي.

١٠٣- القصة الأليمة لتنحية الحكم بالشريعة.

●●●

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

تلك كانت جولة في أهم معالم رحلتي في التأليف، وأرجو ألا أكون قد كتبتها مباهيًا ومفاخرًا، ولا متعاليًا مستكثرًا، ولا لأغراض ذميمة أخرى -إن شاء الله تعالى- إنما كتبتها لأُفيد غيري ممن سيقرأ ما أوردته، وأُذكّر نفسي فيما سأكتبه فيما بقي لي من أيامي، راجيًا من وراء ذلك -إن شاء الله تعالى- الأجر، مبتغيًا المثوبة، فيا ربِّ لا ترمي هذه الأعمال في وجهي يوم ألقاك، ولا تسلكني في سلك المستكثرين المباهين المرائين في طلب رضاك، واغفر لي ما قدمت وما أخرت، وتجاوز عن حظ الشيطان في عملي وكلامي، وتب عليّ توبة نصوحًا تنفعني في كل وقت وحين، آمين.

والله أعلم وأحكم، وصل اللهم وسلم على سيدنا

محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

●●●

الفهرست

الموضوع — الصفحة

●●●